

مجلد الجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر و ربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ ١٠٥

عبد الحميد الكاتب (١)

منشؤه واصله

هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري من عامر بن لوئي . ولوئي ينتمي اليه عدد قريش وشرفها . ومن ولده عامر بن لوئي وولده حنبل ومعيص . وقد قيل في نسبه انه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لوئي بن غالب . ومعظم الروايات ترجح ان والده كان من الموالي . واذا صح ذلك كان من اصل غير عربي . اللهم الا اذا ثبتت سلسلة نسبه التي انتهت بابن عامر بن لوئي بن غالب . وفي رواية ان جده من سبي القادسية يتلون عامر بن لوئي . وان كان اصله من سبي القادسية فهو فارسي الاصل لا محالة . واذا قلنا بانه من اصل فارسي فيكون جده انضم الى عامر بن لوئي ، وقد ينغم الرجل الى غير قبيلته بالخلف والموالاة فينسب اليهم . والاصحغري يقول ان عبد الحميد كان ممن يصلح من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء . وكان له في بني أمية ولاء ينسب اليهم فنسبته الى عامر نسبة ولاء اذا .

وانت تعلم ان المولى عند العرب دون الحر الصريح ، وفوق العبد الرقيق في المراتبة . وآلولى كالتقريب ينزل منزلة ابن العم يجب على صاحبه ان ينعصره و يرثه اذا مات ولا وارث

(١) المحاضرة التي ألقاها الاستاذ السيد محمد كرد علي في ردهة الجمع العلمي العربي

بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م .

له ، ومنه حديث الزكاة « مولى القوم منهم » والمولى هو صاحب والقريب والجار والخليف والجمع موالي . ويكون المولى مولى عتاقة ومولى تباعة ، فمولى العتاقة هو الذي يكون عبداً أو اسيراً فيعتقه صاحبه فيصبح المعتق للمعتق مولى . ومولى التباعة هو من يصطنع أو يخالف أي يستنبح . ومن الولاء ايضاً مولى الرحم من يتزوج في قبيل فينسب الى قبيلهم . ودية المولى نصف دية الحر وكذلك حكمه في العقوبات يناله منها نصف ما ينال الحر . اما في الموارث فمولى العتاقة يورث مولاه ولا يرث منه ، ومولى التباعة لا يرث ولا يورث . وحكم مولى الرحم كحكم الاحرار يرث ويورث .

وكان الموالي في الجاهلية من اجناس ونحل مختلفة ، فلما كانت الاسلام أصبح غير المسلمين ذمة . وكانت في الجاهلية دية المولى وهو الخليف خمسا من الابل ودية الصريح عشراً . والصريح الخالص النسب . والولاء بفتح الواو القرابة ، وبالكسر ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه او بسبب عقد الموالاة . اذا عرفت هذا فليس أمامك ما يمنع من ان تجعل عبد الحميد من اصل عربي وان كان جده مولى تباعة لامولى عتاقة كأن يكون قد تزوج من بني عامر وانضم اليهم بسبب . هذا على شريطة ضعف الرواية القائلة بان أجداده من سبي القادسية . وهناك تكون الفارسية أعلق ببنته من شعرات قصه .

وكان بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم ، فلم تمنعهم اصولهم من تولي أهم مناصب الدولة . فقد ذكر ابن جرير الطبري ان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن دراج . وكان على ديوان الرسائل لعبد الملك بن مروان ابو الزعيرة مولاه ، وكتب للوليد على ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات أفعيع بن ذؤيب مولاه . وكان يكتب لمسيح مسموع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن ابي رقية مولى الحكم بنت ابي سفيان وعلى ديوان الخاتم أعيم ابن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين . وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن ابي فروة مولى أم الحكم بنت ابي سفيان وكتب له اسماعيل بن ابي حكيم مولى الزبير . وكتب للوليد بن يزيد على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جهم بن يزيد بن الوليد الناقص ديوان الخاتم . وكان من الموالي على ديوان الرسائل لمروان بن محمد عثمان بن قيس مولى خالد القسري .

آدبه وثأديه

لا جرم أن ما اتصل بنا من أخبار عبد الحميد لم تصور انسا منه صورة صحيحة تامة ، فما عرفنا مولده ولا البلد الذي ولد فيه من بلاد الشام ، ولا نوع دراسته وأساتذته . ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الأمويين أقاموا العدل ، ودوتخوا البلاد وعمروها بالاحسان ، وكانوا أمة وحدهم في الخير وفي دفعهم انتقلت سياسة الملك وحكم الرعية . مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . ويقول ابن خلكان ان عبد الحميد كان من اهل الأنبار وسكن الرقة فان صححت روايته كان عراقياً غير شامي . وأطلق عليه ابن عبد ربه اسم عبد الحميد الأكبر وعده بمن نزل بالكتابة وكان قبل خاملاً وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم . وفي هذا القول نظر لان عبد الملك تولى سنة خمس وستين وتوفي سنة ست وثمانين فلا تكون سن عبد الحميد يوم مقتله اقل من سبعين او خمس وسبعين وهذا يناقض ما سبر بك من انه غمز عليه سنة ١٣٢ وهو عند ابن المقفع ولم يعرف الموكلون بالقبض عليه ابهما عبد الحميد ، وابن المقفع اذ ذلك كان دون الثلاثين من العمر فلا يعقل الا ان يكون صاحب الشرطة العباسي عارفاً على الأقل بان صاحبه شيخ هرم . ونميل الى ان عبد الحميد كتب اولاً لهشام بن عبد الملك الذي ولي سنة ١٠٥ ومات سنة ١٢٥ ثم لمروان .

والارجح ان عبد الحميد تخرج بالكتابة بسالم مولى هشام وكاتبه وكان سالم خننه أي صهره زوج اخته ، وكان سالم احد الفصحاء البلقاء ، وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر وأُقل له وأصلح هو ، وسالم رسائل مجموعة في نحو مائة ورقة . وبهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياستهم . ولم يثبت انه كاتب يعرف اليونانية كما وهم بعض أساتذة العصر ، وربما شدا شيئاً من الارمنية مدة مقامه في ارمينية كاتباً لمروان . والارمنية فلما نفعته في تكوين ملكته . وارمنية كانت في الخطاط ، بيد انها لم تأت في باب المدييات ، ولا في عصر من عصورها بشيء يقرب من المدينية الفارسية .

كتب عبد الحميد قليلاً عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، وقد كان على اليمن منذ سنة ١٠٧ هـ أي أن ديوان هشام كان المدرسة الأولى التي تخرج باسانتها عبد الحميد في علوم الانشاء . الا اذا صح انه كتب من قبل لعبد الملك بن مروان وهو بعيد . ويمكن ان يقال من ثم انه كان من اول نشأته على اتصال مع من يعرف الخلفاء ، وما يقتضي خدمة الحكومات من الأدوات . وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدث عنه خالد بن برمك . وقالوا ان عبد الحميد كان في حدائنه معلماً في الكوفة ، ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمناً . والمؤدبون كانوا طبقة رافية في القرون الاولى للإسلام ، لان المرء لا يضع في الرجل ثقته ويأتي اليه بمقاليده ابنه الا اذا آس منه كفاءة وحسن اخلاق . وكانت الكوفة لما التي بها عصا الترحال لاول امره محط رحال رجال العلم في الدين واللغة والنحو والعرف ، ولا شك انه ثاقف اهل البلاغة فيها وأخذ عنهم ، وهناك حدث له غرام بقتل كلام علي ابن ابي طالب ، فقد سئل ما الذي خرجك في البلاغة فقال : حفظ كلام الاصلح بعني علي ابن ابي طالب . وكانت الكوفة من البلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه .

وفي زمن لم ننشئته كثيراً اتصل مروان بن محمد وهو والي على ارمينية بحارب الخارج فيها على الخلافة ، فكتب عنه وحظي عنده ، وانقطع اليه ، ولما عقدت البيعة لمروان في الشام سجد مروان واصحابه شكراً لله . الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجد . فقال : ولم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا بعني بالخلافة . فقال : اذا نظير معي فقال : الآن طاب السجود وسجد . وكان كاتب مروان طول خلافته .

تري هل يكون الاختلاف في نسب عبد الحميد سبباً يدعونا الى ان نرجع ان اجداده كانوا من سبي القادسية . والاحجى ان يقال سواء صحت هذه النسبة ام لم تصح ، بانه تأثر لا بحالة بعدادات الفرس وعرف اساليبهم في الكتاب والخطاب . يؤيد ذلك ما رواه ابو هلال العسكري قال : « فن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها الى اللسان العربي » . وعلى كل فإن

الحال الذي جال فيه عقل عبد الحميد كان فسيحاً بالنسبة لعصره وأهل طبقته ، وكان من اتصل بهم قبل أن يلى الكتابة عن الخليفة جماعة من المنظور اليهم في الامة . ولهذا ولغيره اي لمولده في الشام ونقله في البلاد دخل كبير في اتساع عقله وتجاربه .

أخلاقه وعاقبة امره

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بعد من أعظم رجال الأمويين شهامة وحزماً وأدباً ، وكان يحب عبد الحميد حباً حمماً ، ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعلمه بنبوغه ونورده سيف صناعته ، وذهابه بفضل البلاغة وما يذبحي لها ، حتى عرض عليه لما أيقن ان امره أدير ، وهزائمه تواترت ، وسلطاناه صائر الى الزوال ، ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته ، قائلاً انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم بعني ولده العباس لأدبك ، وان اعجابهم بك يدعوم الي حسن الظن بك ، فاستأمن اليهم ، واظهر الغدر بي ، فلعلك لنفعني في حياتي او بعد مماتي . فقال له : وكيف لي بان يعلم الناس جميعاً ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الى عدوك . وأنشد :

وذنبى ظاهر لا شك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

وأنشد ايضا :

امر وفاء ثم أظهر غدره فن لي بمذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين : ان الذي امرني به أنفع الامرين اليك ، وأقبحهما لي ، ولكنني اصبر حتى يفتح الله عليك او أقتل معك . وهكذا تجلت في عبد الحميد فضيلة الوفاء العربي ، فأثر ان يقتل مع صاحبه على ان يخلى عنه يوم الكراهة والشدة . وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالأقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه . وربما كان عبد الحميد ينبؤ من الهلاك بأيدي العباسيين لو سار بسيرة غيره من رجال مروان ، ان صح ما روي من انه لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان ، وفيهم عبد الحميد والبعابي المؤذن وسلام الحادي فهمم بقتلهم جميعاً فقال سلام : استبقني

يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء . قال : وما بلغ من حدائك . قال : تعمد الى ابل فتغتمها ثلاثة ايام ثم نورها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤوسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى أسكت . فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه . وقال له البعلبي : استبقي يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين قال : وما بلغ من أذائك . قال : تأمر جارية فتقدم اليك طستاً ، وتأخذ يدها ابريقاً ، ونصب الماء على يدك . فأبتدي بالأذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني ، حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم ، فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبي الأذان فكأته حالها كما وصف . وقال عبد الحميد : يا امير المؤمنين فاني فرد الزمان في الكناية والبالغة . فقال : ما عرفني بك ، انت الذي فعلت بنا الأفاعيل ، وعمت لنا الدواهي . وأمر به فقطعت يده ورجلاه وضربت عنقه . ويروي انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحكي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله . واختلفوا في مقتل عبد الحميد فاليعقوبي يقول انه تجلف بمصر واستتر حتى دُل عليه صالح بن علي . وزاد غيره انه لما انهمز اختبأ في كنيسة في بومصر من ارض مصر وقال آخرون : انه استخفي بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه وكانت صديقه وفاجأهما الطلب ومما في بيت فقال الدين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه . واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع ، لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفعوا بنا ، فان اكل منا علامات ، فوكاوا بنا بحضكم ولبيض البعض الآخر الى من وجَّهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذوا عبد الحميد .

وفي رواية ان عبد الحميد لم يخفي في الجزيرة عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان ، وان عامر بن اسماعيل المسلمي لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى ، لانه قتل في سنة او سبعة من خواصه ، وكانوا معه فعرفه رأسه وحمل عبد الحميد الى ابي العباس ، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله . وهنا ايضاً اضطراب في رأي من ترجوا لعبد الحميد في نهاية امره ، كما وقع الاختلاف في اصله ، ولم يعقل انه تجلف عن سيده في الجزيرة والارجح انه قتل في مصر .

بلاغته وأسلوبه

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد أول من فنى أحكام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . ضربت الأمثال ببلاغته وقد أشار المجتري الى ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وانفتحت في البلاغة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
وقال ابن الرومي لابي الصقر :

لو ان عبد الحميد اليوم شاهده
وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الحدق والبلاغة في الله
وقال ابو اسحق الصابي :

أنسبتم كتباً شئت فصولها بفصول درة عندكم منضود
ورسائلًا نفذت الى اطرافكم عبد الحميد بين غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس الصولي وقد ذكر عبد الحميد عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ماتميت كلام احد من الكتاب قط ان يكون لي مثل كلامه . جاء عبد الحميد بطريقة جديدة في الكتابة العربية ، شرعها لكل من يحمل القلم بعده ، فنقل الانشاء من طور الى طور لم يكذب بتغير حتى عهد ابن العميد ، ولذلك بحق ما قالوا افنتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

وتعلمون انه قلما عهد التطويل في الرسائل على عهد الراشدين والأُمويين ، فكانت تأتي رسائلهم على الأغلب في السطر والسطرين والثلاثة . وفي رسائل عمر بن عبد العزيز وأخر المئة الاولى نموذج ظاهر من هذا الأسلوب العجيب ، واذا طالت الرسالة كما هو الحال في الرسالة المنسوبة لعلي بن ابي طالب الى الأُشتر النخعي فانها تكون بمثابة قانون يضعه الخليفة للإدارة والسياسة والقضاء اي يحتوي على أغراض شتى لا تتسع لها السطور القليلة . نجاء عبد الحميد وابتدع أسلوبه الجديد الخاص به ، وكان ذلك عقب تشعب أغراض الخلافة ، وامتداد عمراتها ، والتبسط ظل سلطانتها ، فعبد الحميد نهج للكتاب

سبل الانشاء ، واعلى في العالمين ذكركم وشرف صناعتهم ، وكانت قبله في الغالب لانهد عملاً شريفاً من أعمال الدولة وبتولاها على الأغلب الموالي ومن اليهم . فوقر هذا الفن الصعب في النفوس حتى كانت جودة الانشاء لنقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك ، فكان لا يلي الوزارة غالباً الا من بعد في الذروة من طبقة الكتاب .

كان عبد الحميد اول من أطال الرسائل ، واستعمل التخميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته . والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة ، وكثرة حمد الله سبحانه بالحمد الحسنة وهو أبلغ من الحمد . وربما سبق عبد الله ابن المقفع الى التخميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد ، وهو ديوان الخلافة يتناقل الناس عنه اكثر مما يتناقلون عن غيره .

ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله ، بل يطيل مرة ويوجز مرات ، لكنه الى التطويل اميل . فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حانظ على ايجازها ما يمكن ، لكن الزمان اقتضاه احياناً الاسهاب ، فأسهب وأجاد في الطريقتين ، خصوصاً اذا كانت الحال تقضي ذلك ، مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه على لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس ، فكتب كتاباً يستميله ويغمنه ما لوفري لا وقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على حمل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن بك ذلك والا فاهلاك . فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه ، وأمر بنار فأحرقه ، وكتب على جرازة منه الى مروان :

عما السيف اسطار البلاغة وانقضى عليك ليوث الغاب من كل جانب .
فان يقدموا نعمل سيوفاً شحيذة يهون عليها العتب من كل عاب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا أراد الله اهلاك نعمة انبت لها جناحين » ومعنى قول الراوي ان كتابه من كبر حجمه حمل على حمل انه كان مكتوباً على رق . وفي الرفوق تكتب الاسطر القليلة على الأغلب . وربما دعت كثرة الرفوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض رجل يحملها بل حملت لثقلها على حمل . وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب لان البلاغة تقضي بذلك . فقد قال ابن

فقبية : وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحريض على حرب ، او حمالة بدم ، او صلح بين عشائر ، ان يقلل الكلام ويخصره ، ولا ان كتب الى طلبة كتاباً في فتح او استصلاح ان يوجز . ولو كتب كاتب الى اهل بلد في الدعاء الى الطاعة ، والتحذير عن المعصية ، كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه نلكوؤه في بيعته (اما بعد فاني اراك تقدم رجلاً وتوخر أخرى ، فاعتمد على ايها شئت والسلام) لم يعمل هذا الكلام في انفسهم عمله في نفس مروان . لكن الصواب ان يطيل ويكرر ، ويميد ويهدي ، ويحذر وينذر . وهكذا جرى عبد الحميد في رسالة ابي مسلم الخراساني ، فأطال وحمدت اطالته ، كما أطال في نصيحته الى عبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في نحو ثلاثين صفحة من الصفحات المتوسطة فوضع ببيانها الرائع خطاً حربية وطرقاً جديدة في النظام والادارة والسياسة ، وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية الملوك والعظماء ، وأصولاً كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المروءسين وطلاب الحاجات وارباب السعائيات واصحاب الاخبار .

نموذجات من مختصر رسائله

واذا جئنا نعرف عبد الحميد في مطالبه وحاجاته ، وشفقته على نفسه وولده ورحمه ، فلدينا مما اقبلت الايام عليه من رسائله نموذجات يتجلى لها فيها روحه ، منها ما كتبه الى مروان في حاجة : « ان الله بنعمته علي ما رزقني المنزلة من امير المؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها ، فهي لنبي بالزيادة ، والشكر مصاحب لها ، فليست تدخاني وحشة من ابتاء حاجتي ، وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغثاني عن استزادته ، ولكني تكلمتني مؤن استنفضت ما في بدي ، وكنت للخلف من الله منظرأ ، فاني انما انقلب في نعمه ، وأقرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي » .

ومنها ما أنشأه الى اخيه في مولود ولد له وهو اول مولود كان : « اما بعد فان مما أنعرف من مواهب الله نعمة خصت بميزتها ، واصطفيت بخصيتها ، كانت أسرلي من هبة الله لي ولد أسميته فلاناً ، واملت ببقائه بعدي حياة وذكري ، وحسن خلافة في حرمي ، واشراكه اباي في دعائه ، شافعالي الى ربه ، عدخلوته في صلاته ووجهه ، وكل موطن من

مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه
عني أنسة الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فانا به جذل في مغربي ومشهدي ، أحاول
مس جسده بيدي في الظلم ، وتارة أمانقه ورأسفه ، ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد
ولامتنسات الرغائب . سرفي به وأهبه لي على حين حاجتي ، فشدبه أزري ، وحملني من شكره
فيه ما قد أدني بثقل حمل النعم السالفة الي به ، المقرونة سراؤها في العجب بمارات ما يدركني
به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجازبة المنايا اياه ، ووجلا من عواصف الايام عليه . فأسأل الله
الذي امن علينا بحسن صنعه في الأرحام ، تأديبه بالزكاة وحرسه بالعافية ، ان يرزقنا
شكر ما حملناه فيه وفي غيره ، وان يجعل ما يهب لنا من سلامته ، والمدة في عمره ، موصولا
بالزيادة ، مقرونا بالعافية ، محوطا من المكروه ، فانه المنان بالمواهب ، والواهب للني ، لا شريك
له . حملني على الكتاب اليك اعلم ما سررت به علي بحالك فيه ، وشركتك اياي في كل نعمة
أسداها الي ولي النعم ، واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك .

ومنها ما نفذه الي اهله وهو منوزم مع مروان من فلسطين وهو آخر حرب ومواقعة كانت
له . وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة بموضع يعرف بالحمراء يعز بهم عن نفسه « اما بعد فان
الله تالمى جعل الدنيا محفوفة بالكروه والسرور ، وجعل فيها اقساماً مختلفة بين اهلها ، فمن
درت له مجلاوتها وساعده الحظ فيها ، سكن اليها ورعي بها وأقام عليها ، ومن فرصته
باطفائها وعضته بانايها ، قلاها نافرأ عنها ، وذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزبداً
لها ، وقد كانت أذاقنا أفواقي استجليناها ، ثم جمعت بنا نافرة ، ورحمتنا ^(١) مولية ،
فلمح عندها . وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة
والطير بارحة . وقد كسبت والايام تزبدنا منكم بعداً ، واليكم صباية ووجداً ، فان ثتم البلية
الي أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم
نرجع اليكم بذل الأسار ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز من يشاء ، وينذل من
يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأديان والأبدان ،
فانه رب العالمين وارحم الرايين . »

وفي رواية انه ختم هذه الرسالة هكذا : « فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد اخذت كل ما اعطت ، وتباعدت مثل مائقرت ، واعقبت بالراحة نصبا ، وبالجذل هما ، وبالا من خوفاً ، وبالعزيز ذلاً ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لا نرحم من استرحمها ، سالكة بناسبيل من لا أدوبة له ، منفين عن الاولياء ، مقطوعين عن الاحباء . »
ومن رسائله المختصرة ما كتبه عن مروان الى هشام يعز به بامرأة من حظاياها . « ان الله تعالى امتنع امير المؤمنين من انيسته وقرينه ، متاعاً مده الى اجل مسمى ، فلما تمت له مواعيد الله وعاريته ، قبض الله العارضة ، ثم اعطى الله امير المؤمنين من الشكر عند بقائها . والصبر عند ذهابها ، انفس منها في المقلب ، وارجح في الميزان ، واسني في العوض ، فالحمد لله وانا اليه راجعون . »

وكتب موصياً بشخص وهي من مختصراته « حق موصل كتابي اليك بحقه علي ، اذ جعلت موضعاً لامله ، ورآني املاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق امله . »
وكتب عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة « اما بعد فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه ، وبلائه عنده في ولده واهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود ، والقواصي والثغور ، والدHEMA من المسلمين . على ما لم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين ، حافظاً له فيه ، ومكرماً له بالحياطة لما المحبة الله فيه من امر رعيته ، وعلى اعظم واكمل ما كان يحوطه فيه ، ويذب له عنه . والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . أحب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ، ان يكتب اليك بذلك لثحمد الله عليه وتشكره به . فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل ، فازدد منه بزد به ، وحافظ عليه تحفظ به ، وارغب فيه جهد اليك مزيد الخير ونفائس المواعيد وبقاء النعم . فاقرأ على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ، ليسر به جندك ورعيته ، ومن حملة الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على ما رزق الله عباداه من سلامة امير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعتنائهم بامورهم ، فان زيادة الله تعالى شكر الشاكرين والسلام . »
ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية . « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفئة العجمية ، وانبتوا ريثاً لنجلي هذه الغمرة ، ونصحو من هذه السكر ، فسبغ السيل ،

وتنحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

ومن رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والذنفير من اللعب به : « اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبيله ، وايضاح معالمه باظهار فرائضه ، وبعث رسوله الى خلقه ، دلالة لهم على ربوبيته . واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدماً اليهم بانذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، ثم ختم بنبهه صلى الله عليه وحيه ، وفقى به رساله ، وابنته لاهياء دينه الدارس مرتضياً له ، على حين انطعمت له الاعلام مخففة ، ونشئت السبل منفردة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رمح^(١) الفتن ، واعتلى قنار^(٢) الظلم ، واستنهد^(٣) الشرك ، واسدف^(٤) الكفر ، وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكينة الحق ، واستطرف الجور واستنكح^(٥) الصدوف عن الحق ، واقطر^(٦) نلهم الفشة ، واستفصرم لقاحها ، وطبقت الارض ظلمة كفر ، وغياية فساد ، فصدع بالحق .أموراً ، وبلغ الرسالة معصوماً ، ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المرشد ، وقائداً لهم الى الهداية ، ومنبراً لهم اعلام الحق ضاحية^(٧) ، موشداً لهم الى اسفنتاح باب الرحمة ، وعلان عمرو النجاة ، موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم الهلكة .وعزاً اليهم في النقدة ضارباً لهم على الحدود على ما ينفون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حربصاً عليهم مخففاً على كافيتهم عزيزاً عليه عنهم^(٨) رؤفاً رحباً تقدمه شفقتهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً منصحاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميمله وذل الشرك واهله وأنجز الله له وعده واره صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سنته فيهم وظهور

(١) الرمح الشغب او الغبار . (٢) القنار كسحاب الغبار . (٣) استنهد طلب ان

ينهض . (٤) اسدف الليل اظلم . (٥) استنكح غلب . (٦) اقطر اشتد . (٧) ضاحية

علانية . (٨) يقال وقع فلان في العنت اي فيها شق عليه .

شرائعهم عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومنظّمات الذنوب ومهبطات الأوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهوهم به الغوايات وأوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وظرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخور لهم نصحاء ولا مبتغ في ارشادهم غنىاً .

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم امره ، وأدعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الاعتكاف على هذه التائيل من الشطرنج والمواصله عليها لما في ذلك من عظيم الاثم ، وموبق الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وأصرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين .

» وقد بلغ امير المؤمنين ان أناساً من قبلك من اهل الاسلام ، قد الهبهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، والى بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها ، من لدن مصيهم الى مسام ، ملية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ، ولا مستفزع عند اهل الفقه ، وذوي الورع والأديان والاسنان منهم ، فاكبر امير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم ان الشيطان عندما يش من بلوغ ارادته في معاصي الله عز وجل بمقر المسلمين وجمعهم صراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرم بمكيده حيله ، ارادة لاستهوائهم بالخدع ، واجتياهم^(١) بالشبه والمراشد الخفية المشككة ، وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستغلاً لها ، مشيداً بها ، مظهراً لارتكابه اياها ، غير حذر من عقاب الله عز وجل عليها ، ولا خائف مكرهاً فيها ، ولا رعيب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحقه المنية فتخالج^(٢) وهو مصر عليها غير نائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه اياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مد به محرم^(٣) اياه .

(١) اجتالهم الشياطين صرفتهم عن هداى الى ضلالها وفي الحديث خلق الله عباده حنفاء فاجتالهم الشياطين . (٢) نزع . (٣) الحرم كجلس المنقطع .

« وقد أوجب أمير المؤمنين أن يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم ، وإن ينذروهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها ، وما لم في قبول ذلك من الحظ ، وعليهم في تركه من الوزر فأذن^(١) بذلك فيهم ، وأشدّه في أسواقهم وجميع أنديتهم ، وأوعز اليهم فيه ونقدم الى عامل شرطتك في إتهالك العقوبة لمن رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها والأظهار للعب بها ، وإطالة حبسه في ضيق وضنك ، وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين وأظفهم عما نهجوا به من ذلك ، وأتمس بشدتك عليهم فيه ، وإتهالك بالعقوبة عاين ثواب الله وجزاءه ، واتباع أمير المؤمنين ورأيه ، ولا يجدن أحد عندك هواده^(٢) في التقصير في حق الله عز وجل ، والتعدي لأحكامه ، فخل بنفسك ما تسوءك عاقبته ، ولتعرض به لغيرة الله عز وجل ونكاله ، واكتب الى أمير المؤمنين ما يكون منك إن شاء الله والسلام » .

ولقد أدركتم رعاكم الله أن عبد الحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته هنا فقد رأينا يكسو كلامه حلة من حلل الزهد ، ويدخل مدخلا دينيا أورد فيه البراهين على قضيته ، لينزع من النفوس حب التلهي بلمب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لهم أن اللاعبين بالشرطنج يذكرون خلال لعبهم الفاظا لا تليق بالأسنان أن تلوكها ولا بالاسماع أن تسمعها ، وعرفنا من رسالته بعد هذا أن أناسا من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ أوائل القرن الثاني . جاءهم من العجم كما جاءهم العود وغيره من أدوات الطرب والتلهي .

ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان فيما يظهر^(٣) :

« ... خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأثقف الضواري ، أكرمها اجناسا ، وأعظمها . اجساما ، واجسدها الواناً ، واحدها اطرافاً ، وأطولها اعضاءاً ، قد ثقفت بحسن الادب ، وعودت شدة الطلب ، وسيرت اعلام المواقف ، وخبرت الجاثم ، بحيلة على ما عودت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفرامة ، من

(١) آذن أعلم . (٢) هواده لين ورفق . (٣) من كتاب اختيار المنظوم والمنثور استشهد بها الاستاذ محمد بهجة الاثري في كتابه المحمل في تاريخ الادب العربي .

الشَّهْرِيَّةُ^(١) الموصوفة بالنجابة ، والجري والصلابة . فلم نزل باخفص سير واثقف طلب ،
وقد امطرنا السماء مطراً متداركاً قَرَبَتِ الارض منه ، وزهر البقل ، وسكن القتنام
من مشار السنايك ، ومتشعبات الاعاصير ، مهلة انسرنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالعة ،
وانكشفت (من) السحاب مسفرة ، فتلاَّتْ الاشجار ، وضحك النوار ، وانجحت
الابصار ، فلم نر منظراً أحسن حسناً ، ولا موقفاً اشبه شكلاً ، من ابتسام نور الشمس
عن اخضرار زهرة الرياض . والخليل تمرح بنا نشاطاً وتجذبنا اعنيها انبساطاً ثم لم
نلبث ان علنا ضباباً تقصر طرف الناظر وتختفي سبيل السلام نفشانا تارة وتتكشف
أخرى ونحن بارض دمنة التراب أشبه^(٢) الأطراف ممددة القجاج مملوءة صيداً
من الطباء والشعالب والأرانب فأدانا المسير الى غابة دونها مألوف الصيد وجميع الوحش
ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب مغموف وبكل حرة^(٣) تجونة
منفوقون فرجع بنا العود على البدء وقد انجحت الضبابية وامتد النظر فاذا نحن برحلة
من طباء وخلفة آرام يرتعن آتسات قد احلتهن الضبابية بن شخصنا واذهلن انيق الرياض
عن استماع حسنا فلم ننجح الا والضواري لاثمة لمن من بعد الغابة ومنهى نظر الشاخص ثم
مدت الجوارح اجتمعتها واجتذبت الضواري بمقاودها فامرت بارسائها على الثقة بحضرها
وسرعة الجوارح في طلبها فمرت تحف حفيف الريح عند هبوبها تسف الارض سفاً^(٤)
كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها حارشة^(٥) باظفارها قد مزقتها تمزيق الريح الجراد
فن صائح بها وناعس وهالف بها وناعق يده والكلب باسمه ويفديه بابيه وامه وراكض
تحت مفره وخافق يطلبه الريح وطامع يمنعه وسانج قد عارضه بارح قد حيرتنا الكثيرة
والهجننا القدرة حتى امتلاَّتْ ابدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا — يا امير المؤمنين — بهداية دليل قد احكمته التجارب ، وخبراء اعلام المذائب^(٦)
الى غدير افيج ، وروضة خضرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ملثقة بصنوف الخمر^(٧)

- (١) بكسر الشين ضرب من البراذين . (٢) أشبه ملثقة . (٣) ارض ذات حجارة
سوداء . (٤) السيف المورور على وجه الارض . (٥) صائدة . (٦) مسائل الماء .
(٧) الخمر الشجر المتكاثف والمستأجمة كثيرة الشجر الملثف .

ملوءة من انواع الطير لم يذعر من صائد ولا اقتصر من قاصص تخفق لها بالطبول وصفر بنفير الخلف فثار منها ماملاً الأفق كثرتها وراعت الجوارح خفقات اجتمعتها ثم انبرت البزاة لها صائدة والصقور كاسرة والشواهد ضارية يرفعن الطالب لها ويخفضن الظفر بها حتى شعثنا من الذبح وامتلاًنا من النضح^(١) كأننا كنيبة ظفرت ببغيتها ومصرية نصرت على عدوها والحقت ضعيفها بقويها وغلبت محسنها بمسيئها لأنك انفسنا مرحاً ولا نستفيق من الجدل بها فرحاً ببقية يومنا والله المزمع الوهاب .

ثم غدونا — يا أمير المؤمنين — الى ارض وُصف لنا صيدها بالكثرة ورياضها بالنزعة فزل واصفها عن الطريقة واعتمد بنا على غير الحقيقة فأثبتنا فلم نر صيداً ولا عشباً ولا تزهة ولا حسناً فجعلنا نسلك منها حزوناً ووعوراً وجدواً وقفراً حتى قصر بنا اليأس عن الطلب وقطع بنا عن الطمع النصب . فبينما نحن كذلك اذ بد لنا جأب^(٢) قد أوفى بنا على حائل دل على غابة من ورائها حمير وحش كثيرة فأمامها فلما نظرنا مشياً وتقربنا الى عانته^(٣) توالى نهيقه وكثر شهيقه فالتفتن اليه فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه واستهلون امره حتى اذا كنسا بمرأى ومسمع الخجذين مولات وهربن مسببات فأجهدنا الركض في طابهن نقيب آثارهن ونستشف بلاء بين احفار ودكادك^(٤) وأخاديد حتى اشفى بنا الطلب لها على واد هائل سائل يجتبيه غابة أشبه قد سبقن اليها واستخفين فيها فنظمناها بالخيال نظم الخرز . ثم اوغلت عدة فرسان في نفصها ومعرفة احوالها والطبول خافقة والاصوات شاعقة فكان وكاف والحمد لله على كل حال اه .

ومن رسالة له في الفتنه^(٥) : « ففي طاعة الامة في الاسلام ومناصحتهم على امورهم والتسليم لما امروا به فهم كل نعمه فاضلة وكرامة باقية وعافية مجللة وسلامة ظاهرة

(١) النضح البلبل . (٢) حمير وحشي . (٣) العانة الانان والقطيع من حمير الوحش .

(٤) جمع دكدك وهي الارض فيها غلظ . والاخاديد جمع أخدود وهو حفرة مستطيلة

في الأرض . (٥) مقتبسة من الجزء الرابع من كتاب التذكرة الحمدونية المخطوطة المحفوظة في دار الكتب العامة في الاستانة .

وباطنة وقوة باذن الله مانعة وفي الخلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة وحتى كل فنية وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عز وقوة والدعاء بكل بلية ومقارفة كل ضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وإمانة كل سنة واجلاب كل ضرر على الأمة وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور وباطل وفناء كل حق . وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي يهديه سيف أخيه الذي كان يعتمد عليه وبوهن عضده ويهدم حصنه ويفلث عدده ويهلك ثروته ويعطب من بدعه ويفزع اليه ويكثر بمكانه ويمرسه من غفلته عن الاعداء اذا عقل ويكون عبثاً له من خلقه فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه وطفل من أبناء المسلمين قديم من أبه ومذلة قد دخلت عليه ونعمة قد زالت عنه ووحشة قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت وشحناء قد ظهرت وأوتار قد بقيت وعداوة في الأنفس قد استقرت وخوف قد ظهر وسبل قد قطعت وامرأة قد أرملت وصبيبة قد يئمت . وبلا دعامرة قد خربت وعدد قد نقص وبلايا قد سمت وشملت وعدو قد شمت ومنافق قد رفع الى ما كان يؤمل رأسه وعدو من المشركين قد طمع وقوي بعد ضعف وعز بعد مذلة ورعية قد صاحت وناعية قد ولولت وحميم قد قتل حميمه ومودة قد صارت عداوة واجتماع من الاهواء قد عاد الى فرقة وارحام قد انقطعت .

« فانظروا يا معاشر المسلمين ماذا تفعل الفتنه والمعصية وكيف يدب الشيطان لها ويسعى فيها ويحتال بخديعته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهمها ويشعلها ويرفعها من قلتها الى الكثرة ومن صغرها الى كبرها فانه انما يبدو الظفر على الولاة ثم يتراعى الى الشكاة والسخطه والغضب وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الاعظم والشدة الاكبر بطرق امر صغير الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن فلا يزال الرجل ينظر منهم الى قاتل أبه وأخيه وحميمه وذوي قرابته وأهل مودته والنافع كاتب ثم تحمّل العداوة في قلبه والفضينة العظيمة عليه ويستعد للنقمة منه وطلب الدّاحل عنده فيبث تلك الضغائن في الأبناء بعد الآباء فانظروا يا أهل الاسلام من اين دب الشيطان بلطف مسالكه وعلى اي شيء ورد والى اي امر تسامى حتى عم بالمعصية أهل الاسلام عامة اه .

واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة ان البلاد كانت تموج بالفتن او اخر عهد الخليفة

مروان بن محمد الأموي وإن عبد الحميد يريد بتأثير قله أن ينزع أهل الاقطار من
التردي في مهالكها . ولكم كتب من مثلها منذ نادى أهل خراسان بشعار العباسيين
ياترى ؟ . وما نظن إلا أن مجموعة رسائله تبلغ أكثر من ألف ورقة لا كما قال بعضهم .
وقد عرفنا بهذا النموذج الضئيل الذي بقي من ذلك التراث العظيم أن صاحبنا كان بعيداً
النظر في السياسة شديد الغيرة على سلطان بني أمية عارفاً بما سيجل بالدولة وود لو يحميل
لها بمخرج ينجيها ولو بعض الشيء من المأزق الذي صارت إليه فأراد سيده أن يعتمد إلى
الزواج السياسي ويتقرب من بني هاشم بالاصهار اليهم .

قال لمروان حين رأى علو أمر بني العباس : أنلهمني يا أمير المؤمنين فيك قال :
لا . فقال له : أرايت إبراهيم بن محمد بن علي أليس ابن عمك قال : بلى . قال : فاني
أرى أموره تنبع^(١) عليك فأنكحه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنت قد اعلمت بينك وبينه
شيئاً ، وإن كفيته لم تمن بصره . فقال : ويحك والله لو علمته صاحب الأمر لسبقت
إليه ولكن ليس هو بصاحبه فقال له : وما يضرك من ذلك وهو من القوم الذين تعلم
أن الأمر منتقل إليهم لا محالة وإن الصواب أن تعلق بينك وبينهم شيئاً . قال مروان :
والله أفي لأعلم أن الرأي فيما نقول ولكنني أكره أن اطلب النصر بأحراح النساء .

وكان عبد الحميد يقول : أكرموا الكتاب فان الله عز وجل أجرى أرزاق الخلق
على أيديهم . وكان يقول : إن كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتاب .
ومن غرر كلامه : القلم شجرة ثمرها الالفاظ . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه
« خير الكلام ما كان لفظه فخلاً ومعناه بكرة » . ويروى أنه مر بإبراهيم بن جبلة وهو
يكتب خطأ رديئاً فقال : أحب أن يجر خطك قال نعم . قال : أطل جلفه فلك
واسمها وحرف قطنتك واسمها . قال : ففعلت ذلك فجاء خطي . وذكر صاحب الصنائع
أن عبد الحميد كان إذا استنجز الكاتب في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك .
فصل بين هذه الأحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آتته . ووقع الفصل عليه .
وكان كثيراً ما ينفذ :

إذا خرج الكتاب كانت دُويهم قسيًا وأقلام الدوي لها نبلا
وما اختير له من الشعر وهو في طبقته مما لا يتناسب مع كتابته قوله :
ترحل ما ليس بالقافل وأعقب ما ليس بالزائل
فلهي على خلف قادم ولهي على سلف راحل
سأبكي على ذا وأبكي لهذا بكاء موهبة ثاكل
فتبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفر عن عبرة لها في الضمير ومن هامل
نقضت غوايات سكر العبا ورد النقي عن الباطل

ومن شعره :

كفى حزناً أرى من أحبه قريباً ولا غير العيون تترجم
فأقسم لو أبصرنا حين نلتقي ونحن سكوت خللنا نكلم
« ليحى صلة »

كتاب المداخلات

او المداخل

- ٢ -

٦ (باب الآما) — قال: اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو عن يبه قال الآما^(١) النعشة والنعشة النهضة والنهضة^(٢) العتبة والعتبة^(٣) حمارة الطنبور والحمارة واحدة الحمائر وهي حمارة تجعل حول الحوض وانشدنا^(٤) ابو عمر .

ومبلد^(٥) بين موماة ومهلكة قطمته بعلاة الخلق عليان

كأنما الشحط في اعلى حمائره سبائب الربط من قز وكتان

أراد مبلدأ وهو الحوض القديم وعلاة الخلق قوبة الخلق والعلاة سندان الحداد ، عليان سريعة والشحط ذرق الطير شبهه بشقاق^(٦) يهض فقال هذا الماء على بعده وهجر الناس له^(٧) قد جثته واسنقيت منه . والحوض^(٨) الحركة والحركة^(٩) منع البحر الصيد

(١) في الاصل بالموضعين ممدوداً مصحفاً . ولما نقال للعائر دعاء له بالانفعاش .

(٢) النهض والنهضة العتبة اي الغليظ من الارض تبهير فيه الدابة .

(٣) كما في مختصر الوجوه ص ٧٦ وفي المعاجم العتبة العيدان المعروضة على وجه العود منها تمذ الأوتار الى طرف العود . وانظر لمعاني الحمارة مختصر الوجوه ص ٣٣ والتاج .

(٤) هذا قول ابي عبدالله العباسي راوي المداخل عن ابي عمر . (٥) البيتان في التاج واللسان (بلد ، حمر) عن ابن الاعرابي بلفظ جاوزته بعلاة الخ قال اصله مأيد فقلب وهو اللاصق بالارض . والمبلد بكسر اللاء ونفتح الحوض القديم والعليان بالكسر ونفتح الناقاة

المشرفة والمعنى سريعة . وهذا مما يزيد على المعاجم . (٦) جمع شقة القطعة من الثوب .

(٧) في الاصل (اليه) مصحفاً . (٨) هذه (زيادة) في اللسان والتاج عن الأصمعي اني لأدور حول ذلك الامر واحوض (مشدداً) حوله بمعنى . (٩) (هذا مما يزيد على المعاجم)

كما مر في الباب الاول والحركة بمعنى منع البحر الصيد في مختصر الوجوه ص ٣٤ وفي التاج يقال حرك البحر يحرك اذا قل صيده وذلك في زمن الصيف وهي ايام الحراراك .

والصيد^(١) الماء يصاب بلا طلب والطلب البعد والبعد الهلاك والهلاك الفناء والفناء^(٢)
الثناء في بعض اللغات والثناء (المدح و) الذم والمدح خلاف الذم والذم جمع ذمة وهي
البئر القليلة الماء وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي^(٣) .

ارجي نائلاً من سيب رب له نعمي وذمة سجال

ويروى وذمة بالكسر . قال ومن روى بالفتح اراد ماء البئر يعني قليلاً وكثيره
وسجال مع فتح الذال الدلاء واحدها سجال وهي الدلو الكبيرة ومن روى بالكسراي كسر
الذال اراد عقده محكم وسجال من سجال اذا فسق^(٤) .

١٧ (باب البرطيل) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي وعن عمرو عن ابيه
قال : البرطيل الحجر والحجر الذهب والذهب^(٥) مكبال لاهل اليمن والمكبال المجازاة
يقال ركت له اكيل كيلاً اذا جازيته والكيل السر يقال كيف الكيل عندكم اي
كيف السر وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه^(٦) :

فان بك في كيل اليمامة عسرة فما كيل ميافارقين بأعسرا

(١) الموجود في اللسان ومستدرك التاج عن ثعلب صدنا ماء السماء اخذناه فهذه ما
زيد على المعاجم و يأتي في الباب (ال ١٨) .

(٢) اي بالفتح فيهما وبست في اللسان والتاج بل الموجود فيهما هذه اللغة في فناء
الدار وثنائها فهذه ما زيد على المعاجم . (٣) كما في اللسان (ذم) سجال ابن سبده قد يجوز
ان يعني به الغزيرة والقليلة الماء اي قليله كثير ورواه الاصمعي بالكسراي عهده محكم من
قولك سجال القاضي لفلان بماله اي استوثق به . (٤) لم أقف على هذا المعنى وكلامه يقضي
« اذا أحكم » . (٥) كما في اللسان والقاموس وفي مستدرك التاج ورأيت في هامش نسخة
لسان العرب ماصورته في نسخة التهذيب يسكون الماء . اقول لا يوجد على هامش المطبوعة .
وابو عمر ازاهد ثقة . (٦) البيت في البلدان ومعجم ما استعجم رسم «ميافارقين» ولفظ الاخير
أنشد ثعلب عن عمرو عن ابيه فان الخ . قال والكيل هنا السر يقال كيف الكيل عندهم
اي كيف السر والكيل المجازاة قلت له اي جازيته اه فكأنه من المداخل وعمرو هو ابن
ابي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

١٨ (باب الجُحال) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال سألت اعرابياً وما رأيت أفصح منه منذ ثلاثون سنة فقلت له ما الجُحال ^(١) قال القشب قلت فما القشب قال الذُفان قلت فما الذُفان قال الذئفان ^(٢) قلت فما الذئفان قال الذيفان ^(٣) قلت فما الذيفان ^(٤) قال الأرقد ^(٥) قلت فما الرقد ^(٦) قال الجوزل قلت فما الجوزل ^(٧) قال الجرم ^(٨) قلت فما الجرم ^(٩) قال السم قلت فما السم قال ثقب الاويرة قلت فما الاويرة قال رأس الروقي قلت فما الروقي قال المردى قلت فما المردى قال قرن الجارية قلت فما الجارية قال الخولة ^(١٠) قلت فما الخولة قال الظبية ^(١١) قلت فما الظبية قال الجراب الصغير قلت فما الجراب قال بدن ^(١٢) البئر قلت فما البدن قال الدرع الحديد ^(١٣) قلت فما البدن ايضاً قال الرجل ^(١٤) المجاسك سيفه جسمه . قال ابو عبد الله ^(١٥) العباسي وصمت بعض اصحاب ابي عمر رحمه الله بقرأ عليه في غير نسختنا قلت فما البدن قال الشيخ ^(١٦) المسن قلت وما البدن ^(١٧) ايضاً قال الثبيل قلت وما الثبيل قال الحيطان ^(١٨) قلت وما

- (١) بتقديم الجيم (وكان في الاصل بتقديم الحاء عليها) السم كالقشب محرّكاً .
 (٢) في الاصل الذيفان مصحفاً والذئفان بالكسر والمهمز السم . (٣) في الاصل الذيفان مصحفاً والذيفان بالفتح ويكسر ويحرك السم . (٤) الأرقد والرقد لم اجدهما ولا مصحفاتهما بمعنى السم . (٥) السم : ابو عبيدة لم نسمعه الا في شعر ابن مقبل . (٦) كان في الاصل الحرشم مصحفاً . وحرشم كزبرج وشفدع السم القاتل ولكن الحاء غير ثابت والثابت جُرْشُم كقنفذ مقيداً بخط الحياثي قال الأزهري وهو الصواب وكذا رواه كراع ايضاً وضبطه بعضهم بالحاء وردّه الأزهري . (٧) لم اجد من معاني الجارية شيئاً يوافق المقام المهم الا ان يكون الخولة وردت بمعنى الخول « عركاً نعمة الله » وهي معنى الجارية في مختصر الوجوه ص ٢٣ وغيره . (٨) كما في المعاجم . (٩) يريد جوفها من الاعلى الى الأسفل . (١٠) كذا باللسان ولا بأس به . (١١) لم اجد المعنى في المعاجم الخاضرة فهذه مما زيد على المعاجم . (١٢) هو الحسين بن احمد بن بريهة راوي المداخل تقدم في المقدمة . (١٣) يوجد المعنى . (١٤) البدن والثبيل الوعل المسن « اللسان والتاج » . (١٥) التيس من ح ط ط .

الخطاب قال البغيغ^(١) قلت وما البغيغ قال العلب^(٢) قلت وما العلب قال تيس الجبل . وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

قد (٣) قلت لما بدت العُقاب وضمتها والبدت الحِقَابُ
جدي لكل عمل ثواب الرأس والاكرُعُ والاوهابُ

١٩ (باب العريج) — قال اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العريج كتب^(٤) الصيد والصيد^(٥) اخذ الشيء بلا تعب يقال صدت ظبيًا وصدت بهضة وصدت كمة اذا اخذته بلا تعب والاخذ^(٦) نجوم منازل القمر كل ليلة والقمر يؤو^(٧) العين والعين^(٨) خاصة الملك ووليّه . قال ابن الاعرابي ومنه خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت فقال له رجل يا امير المؤمنين ان عليًا لطمني فقال له عمر يا ابا الحسن اَلطمتَ عين هذا الرجل . قال نعم . قال فلمَ يا ابا الحسن ؟ فقال : لاني رأيتُه ينظر الى حرم المسلمين في الطواف فقال له احسنت . ثم اقبل على الماطوم فقال وقعت عليك عين من عيون الله تعالى . قال ثعلب فسألت ابن الاعرابي عنها فقال خاصة من خواص الله وولي من اوليائه وحبيب من احبائه . والعين الركبة والركبة^(٩) اصل الصّيانة اذا قطعت والقطع^(١٠) الخنق وهو مصدر خنقته خنقًا قال القاضي والاصل في الصّيانة شجرة تأكلها الخيل عند عدم العلف ويقال لاصول الصّيان الدِندن وانشد الخليل بن احمد «لحسان» (١١) :

(١) تيس الظباء السميين . (٢) التيس الطويل القرنين . (٣) اللسان يصف وعلاً وكلية اسمها عُقابُ والحِقَابُ جبل بعينه . يقول اصطادي هذا التيس وأجعل ثوابك الرأس والاكرُعُ والاوهاب . (٤) غيره الكاب الضخم . (٥) اقدم في الباب (١٦) انه الماء يصاب بلا طلب . (٦) نجوم الاخذ منازل القمر لان القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها وهي نجوم الانواء «التاج» . (٧) بهاض المفلة كما في مختصر الوجوه ص ٩٠ . (٨) هذا بعينه لفظ مختصر الوجوه (ص ٧٨) والعجب ان المعنى فات «التاج» فهذه مما زيد على المعاجم . (٩) لم اجد المعنى في المعاجم لا معتلاً ولا معموزاً (فهذا مما زيد على المعاجم) . (١٠) قطع الرجل الحبل او يجبل اخنق فاقطع الاخنساق وإطلاق الخنق فيجوز بل زيادة . (١١) من معروف شعره راجع ديوانه ليدن (ص ٦٩) .

المال يغشى رجالاً لا طباح بهم كالسيل يغشي أصول الدند البالي
قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي يقال خنقته (١) وقطعته وذعته وذعطته وذرعته
قرئت هذه اللفظة على ابي عمر وأنا اسمع وحلقته وزردمته ووطأته وسأته . قال
وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ولا تزال بكورة قطاره يسأتها بجملها عماره

قال ابو عمر البكرة التي يسقى (٢) عليها مسكنة الكاف لا غير فاذا حركت فهي
جمع باكر مثل جاهل وجهلة .

٣ . (باب السندل) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال السندل (٣)
جورب الخف والخف الجمل (٤) المسن والجمل دابة سيف البحر يقال لها الكبع (٥) طوبلة
الوجه هائلة من دواب البحر ومنه قول الجارية للجارية ذسأتها يا وجه الكبع والبحر الماء الملح
والمخ (٦) الارضاع يقال ملحننا في بني فلان وملحننا اي ارضعناهم ورضعناهم والارضاع (٧)
الوصال يقال ارضعت الشيء بالشيء اذا واصلته وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :
وترضع (٨) حاجة بلبان اخرى كذلك الحاج ترضع باللبان

(١) كلات الخنق توجد كلها في المخصص (٦ : ١٥ و ١١٦) . زعته عن العين زعتاً
وكان في الاصل دعته مصحفاً . وقطعته كأنه براء متعدياً فهذه مما زيد على المعاجم وذرعته
(في الاصل درعته وهو ايضاً بمعنى خنقته) وابوزيد زرعت له وضعت عنقه بين ذراعي
وعضدي ثنقته . وحلقته اصبت حلقه وزردمته وزرديته فارسية اصله أزار دمه بمعنى
وجع النفس (وغلط ابن سيده في تفسيره) . ووطأته ضربته على ظهره مثل حطأته وقيل
هو الضرب في اي عضو كان ومعنى الخنق (هذا مما زيد على المعاجم) وسأته وسأته خنقته
حتى مات . (٢) بالاصل يسقى . (٣) اممله الجوهري والمجد والصاغاني وهو سيف اللسان
ومستدرك التاج (٤) كما في المعاجم . (٥) في اللسان والتاج الكبع جمل البحر وجمل الماء
قيل انه النجم والحوصل . (٦) انظر الكامل لبسيك ص ٢٨٤ . (٧) لم اجد الارضاع
للاضافة في المعاجم (فهو مما زيد على المعاجم) . (٨) البيت في اللسان «لبن» وأرضع الخ
عن ابن سيده .

٢١ (باب الدفوف) — اخبرنا ثعلب عن ابن نجيحة عن ابي زيد قال الدفوف (١) غير مضموز القننل والقننل مزج الشراب والمزج (٢) العسل والعسل اضطراب القصبة اذا حركت والقصبة النالة (٣) والنسالة وسط المجدل والمجدل القصر والقصر المنع يقال قصر جاريته اذا منعها من التبرج فهو قاصر وهي مقصورة وقصيرة وقصورة (٤) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وانتِ (٥) التي حبيت كل قصيرة اليّ وما تدري بذلك القصائرُ
عنيتُ قصيرات الحجال ولم أُرِدْ قصار الخطا شرُّ النساء البهائر
البهائر القصائر ومثله البهائر .

٢٢ (باب القطاج) — قال اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو والشيباني عن ابيه قال القطاج (٦) قلنس السفيينة والقلنس (٧) ما يخرج من فم الصائم من الطعام والشراب والشراب الخمر والخمر الخير والعرب (٨) نقول ما عند فلان خل ولا خمر اي شر ولا خير والخير الخليل ومنه قول الله عز وجل (اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والخليل (٩) الظن والظن (١٠) القسم قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال من العرب من يقول اظن ان زيدا خارج يعني والله ان زيدا خارج وانشدنا (١١) عن سلمة عن الفراء :

اظن لا تنقضي عنا زيارتكم حتى يكون بوادي نسا البساتينُ

٢٣ (باب القطامي) (١٢) — اخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال القطامي النبيذ والنبيذ (١٣) الملقوط في الصبيان والملقوط الثوب المرفوف والمرفوف المسكن وانشدنا ثعلب

(١) الاوجهاز على الجريح . (٢) المعروف بالكسر والفتح . (٣) النسالة وسط القرية وجوفها كالقصبة . (٤) كما في المعاجم . (٥) من معروف شعر كثير عزة . والبحيرة والبهيرة القصيرة . ويروى البهائر . (٦) بالفتح ويكسر . (٧) اي خروج ما يخرج الخ فانه في الاصل مصدر . (٨) مثل انظره في المستقصى (خط) وجمهرة ابي هلال بطبعته ١٩٣ و ٢١٩ . (٩) مصدر خاله كذا . (١٠) المعروف انه يأتي بمعنى العلم واليقين . في اللسان والتاج . ومعنى القسم (وهذا مماز يد على المعاجم) . (١١) ثعلب . (١٢) بالفتح و يضم النبيذ الشديد . (١٣) والمنبوذ ولد الزنا الملقى على الطريق كما في التاج .

عن سيلة عن الفراء عني عنه .

رفوفني وقالوا ياخوبلد (١) لا تُرْعِ فقلتُ وانصكرتُ الوجوه مُمٌ مُمٌ
والمسكنُ المقومُ من الرماح بالسكن (٢) والسكن النار والنار السمّة قالوا واشدنا
ثعلب عن ابن الاعرابي :

حتى (٣) سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الأوار
الآبال جمع إبل والأوار العطش وأوار الحر شدته وأول (٤) ما يستقبلك منه يقول
هذه إبل (٥) اسم سميتها النار فنقدم شرفه أهلها عند الورد فقد شفي أوارها .

٣٦ (باب القتع) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن أبيه قال القتع (٦) الدود
والدود (٧) الحصف والحصف (٨) إحكام قتل الحبل والحبل العهد والعهد العقد والعقد (٩)
الجلل القصير القوائم الطويل السنام فاذا (١٠) مشى مع الجمال قصر عن طولها وإذا يرك
معها طالها الطول سنامه واشدنا ثعلب عن عمرو عن أبيه :

(١) اسم أبي خراش الهذلي صاحب البيت قال الثبري يزي رفوفني خدعوني وقالوا لا بأس
عليك ويقال سكنوني ذكر قومًا قعدوا له على طريقه وقد عاد من الحج ليقتملوه . تهذيب
الالفاظ ص ١١٩ و ٥٨١ والخزانة ١ : ٢١١ — ٢١٣ .

(٢) محركا النار وكل ما يسكن إليه وفيه وفيه .

(٣) كذا في اللسان وفي الكتاب الكامل « لبسيك ص ٢٧٩ » قد سقيت آبالهم .

(٤) في الأصل اقل - مصحفاً . (٥) العبارة بحيث ترى قلقة البنية والمغزى واضح أي ان

هذه إبل عليها سمّة النار لاربابها فعرفوا بها فنقدّم شرفهم عند أهل الماء سقي إبلهم الماء عند
الورد . (٦) محركة دود حمر تأكل الخشب والواحدة قنعة وقيل هي الأرضة .

(٧) في التاج بئر صغار نقيح ولا تعظم وربما خرجت في مراق البطن أيام الحر هذا معنى

الحصف وليس من معاني الدود في شيء (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٨) المعروف بهذا المعنى الإحصاف (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٩) في اللسان والتاج المقد الجمل الموثق الظهر (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(١٠) مثل هذا في اللسان (لكلك) عن أبي علي .

ارسلت (١) فيها زجراً أكلها بقصر يمشي ويطول باركا
قال ثعلب الزجل الصوت والزجل من الجمال الذي يصيح والأكل العظم الخلق .

٢٥ (باب القيم) - قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القيم السور
والسنور السيد قال ابو عمرو الشيباني وأنى اعرابي بعض القبائل فقال من سور كم يابني
فلان قال فزم القوم . فقال رجل منهم أقولها يابني فلات ؟ قالوا قلها انت لها قال انا
سنورهم اي سيدهم قال ابو عمر قلت لثعلب كيف سموا السيد سنوراً قال لان عظم خلق
الفرس يقال له السنور (٢) وهو أعز موضع في الفرس لانه مستقر رأسه والسيد الرئيس
والرئيس الشاة التي عقر (٣) رأسها والشاة الثور والثور (٤) ظهور الحصبة والحصبة حصاة
الجرمة والجرمة الفحمة والفحمة القسورة والقسورة ظلمة اول الليل والاول يوم الاحد قال
ابو عمر وأشدنا ابو موسى الحامض عن ثعلب :

أقول ان اعيش وان يوحى بول او باهون او جبار
او التالى دبار فان أفنته فؤنس او عروبة او شيار

قال ابو عمر قال لي ابو موسى (٥) قلت لثعلب هذا الشعر موضوع قال لم قلت لان
جبار ومونس وشيار تنصرف فقال الشعر يحتمل ما لا يحتمله الكلام . قال والاول يوم
الاحد والاهون يوم الاثنين والجبار يوم الثلاثاء والدبار يوم الاربعاء والمؤنس يوم الخميس
وعروبة يوم الجمعة وشيار يوم السبت فأول الايام الأحد واول الاسبوع السبت . قال
هذا كان عند العرب . قال ابو عمر أخبرني الكندي عن رجاله عن ابن عباس قال ان الله
تعالى خلق الجنة يوم الخميس وممها مونس .

(١) في اللسان قطعاً وهو الجمل الهائج والثاني والرابع ، من الذريجات جمداً أركاً ، كأنه
بجل درانكا ، واللكالك الجمل المكثز اللحم .

(٢) كذا في التاج عن ابن الاعرابي . غيره السنورة فقارة العنق من اعلى .
(٣) اصيب . (٤) في اللسان والتاج الثور ثوران الحصبة وثارت بفلان ثوراً وثوراً
وثواراً وثوراناً انتشرت وحكى اللحياني ثار الرجل ثوراً ظهرت فيه الحصبة وهو مجاز .
(٥) رواية ابي موسى عن ثعلب توجد في اللسان (عرب) .

٢٦ (باب البرطنج) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البرطنج (١) الحزام العريض والعريض الجدي والجدي النجم والنجم الذي تعرف به الكعبة والكعبة البيت المربع والبيت المرأة قال وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال :
لم يَخْتَرِ البيت على التفرّب ولا اعتناق رحله عن مركب
فهو مُمرٌّ كَمَا قاط (٢) الرّة يُب

٢٧ (باب القسورة) — قال ابو عمر : واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال (٣) القسورة ظلة الليل والليل فروخ الكروان والكروان ضرب من الطير والضرب (٤) الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير والقصير المنوع يقال قصره قصراً أي منعه منعاً والمنع السرطان وقد مضى ذكره (٥) والسرطان دالة بعرض في الساق ويجوز (٦) بالفتح والساق النفس والنفس (٧) الدم والدم الطلاء بالقطران والطلاء (٨) الخيط وأنشد ثعلب عن ابن الاعرابي فقال :

ما زال مذفرّق عنه (٩) خُلبه

٢٨ (باب المذنج^(١٠)) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحاج احلام (١١)

(١) فأت اللسان والتاج والمعرب للجواليقي ولا دهي شير . وذكرها ابن دريد في كتاب السرج والجام له وهذا لفظه : البرطنج حزام يُشدّ فوق السرج اه وهي فارسية اصلها (برننگ) بمعنى الحزام الاعلى (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٢) الحبل الصغير يكاد يقوم من شدة قتله . (٣) معنى اكثر الباب . (٤) طرفه : «أنا لرجل الضرب الذي تعرفونه» . (٥) في الباب الاول . (٦) ظاهره إن لم يكن مصححاً أنه يجوز بالفتح وان كان الاصل تحريكه ولم أجده في المعاجم (وهذا مما زيد عليها) . (٧) مشددة لغة في الدم الخفيف وهذا ليصح قوله والدم الطلاء فانه مشدد . (٨) في التاج الطلاء الحبل الذي يشده رجل الطلي وفي اللسان الطلي والطلي أو الطلوة والطلاء والطلية والطاية .

(٩) بالضم الحبل الصغير قال : كالمسد الدن أرسر خُلبه «اللسان» .

(١٠) الباب نقله الحاج خليفة في رسم المداخل .

(١١) أي أضغاث الاحلام .

نائم واحلام نائم ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة واحدها ثوب والثوب (١) القلب والقلب العقل والعقل الرق والرقم الروضة والروضة (٢) الماء يبقى في الحوض وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

٢٩ (باب فسوة الضبُع) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال فسوة (٣) الضبُع شجرة تحمل كالخشخاش حملاً لا يتحصل منه شيء قال ابو عمر الزاهد ويجوز (٤) الخشخاش بكسر الخاء والخشخاش (٥) الكتبية والكتيبة الطيبة (٦) اذا جمعت طيبةً والطيبة الجراب والجراب (٧) الفتح والفتح النهـ (٨) والنهر الدم المسال والمسال (٩) التراب وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) في قول امري والقيس : (فسأني ثيابي من ثيابك لنسلي) قال النحاس في شرحه ص ١٩ يعني قلبه من قلبها قال الله عز وجل (وثيابك فطهر) ومثله قول عنتره : (فشككت بالرمح الطويل ثيابه) .

(٢) قدر ما يغطي ارض الحوض من الماء والسطر في اللسان ايضاً ومثله لمحيان السعدي : (وروضة في الحوض قد سقيتها نضوي وارض قد ايت طويتها)

(٣) هذا قول ابن خالويه كما في اللسان وغيره : ضرب من الكأة . ابو حنيفة : هي القعبل . (٤) هذه مما زيد على المعاجم :

(٥) اللسان عن الصحاح الجماعة عليهم سلاح ودروع .

(٦) ان لم تكن تصحيف الطيبة فانها كغنية الناقة المسترخية الاطباء والطيبة (الثانية) حياؤها (مختصر الوجوه ص ٧٠) وانما رجحنا الطيبة لان ارباب المعاجم لفظهم في هذا المقام المكتوبة الناقة او البغلة التي شد حياؤها بالكُتْبة لثلاثين عايقها والمذكور في اللسان الكتيب للقربة المشدودة الفم فالكُتْبة بالمعني (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٧) لم أجده بالمعني (وهذا مما زيد على المعاجم) وقد مر في الباب (١٨) ان الجراب بدن البئر اي جوفها .

(٨) غيره الماء الجاري في الانهار .

(٩) لا يوجد المعني فهذه مما زيد على المعاجم .

أحشو (١) التراب على محاسنه وعلى غراوة وجهه النضر
قال الغراوة الحسن وإنما سمي الغري غريباً لحسن من فيه . قال أحشوا : إخبار ليس
أمرأ ولو كان أمراً كان مجزوماً مفهوماً الالف .
٣٠ (باب الفواس (٢) — واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفواس (٢)
تشبيح صف النخل والسعف (٣) جهاز العروس والعروس المعروف (٤) او المرأة وضده المنكر
والضد اختلاف واختلاف الكتم يقال جعلته في خلافي اي في وسط كي واشد ثعلب
عن ابن الاعرابي :

الا (٥) يزعزع يسلي مي يسقط منه فتني في كي
تم الكتاب بفضل الملك الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) في الاصل على محاسن وجهه مصحفاً ومختلاً الوزن والبيت من كلمة من خير شعر العرب
أنشدها المفضل لامرأة تزني ابناً لها ومطلعها :

يا عمرو مالي عنك من صبر يا عمرو يا أسفي على عمرو
لله يا عمرو وأبي فتي كفت يوم وضعت في القبر
أحشو التراب على مفارقة وعلى غصارة وجهه النضر

وهي (٣٣) بيتاً انظرها في زهر الآداب للعصري (الرحمانية ٢ : ١٠٦ — ١٠٨) .
(٢) لم أجد المعنى لهذه الكلمة ولا شيء من مصحفاتها معنى ولم يذكروا معظم اللغو بين مادة (فوس)
اصلاً . (٣) كذا في مختصر الوجوه . (٤) يريد الزوج اي الرجل . (٥) الشطران مصحفان
في الاصل وهما من رجز روي ابن طاهر في باب بلاغات النساء من كتاب المنشور والمنظوم (ص
١١٣) عن النكبي . امرأة يقال لها ام الورد تزوجت برجل فبجزع عنها فنقدمت الى والي البصرة
فقال له : والله ما يسكنني بضم ولا بفتح ولا بضم ولا بفتح الا اني بطيخ منه فتني في كي قال ففرق
بينهما الى آخر الخبر ولكن في أضداد الجاحظ في باب مساوي العنن ان هذا الخبر والاشطار في
العجاج بزيادة (يطير منه حزني وغمي) . وفي محاضرات الراغب (٢ : ١١٩ سنة ١٣٢٦ هـ) من
غير عزو بزيادة ليس بهذا أمرئ أي في الاول وفي الآخر لمثل هذا ولدني أي .

قال مصحح الكتاب: وهذه زيادات على كبار المعاجم: كاللسان والتاج وغيرهما مرتبة .
 وذلك ان هذه المعاجم لم تأخذ حوشي اللغات وشواذها المروية عن ابي عمر بطريق
 ابن خالويه وابي الطيب اللغوي واسحق بن محمد الآملي صاحب (الوجوه) الا قليلاً ولهذا ترى
 بعضها مدونة في مختصر الوجوه مع ان صاحبه التي عو يصها بالمره ولكن لما كان صاحب
 الوجوه اكثر من النقل عن يواقيت ابي عمر بقي في مختصره ايضاً بعض اشياء .
 وهذه الزيادات في صور الكلمات وصيغها تارةً وأخرى في خصوصيات معانيها ،
 ولا ادعي البراءة فربما يكون نظري شذ عن بعض ما في هاتيك المعاجم فحسبته فائتاً وهو
 موجود ، والعصمة لله وحده .

الباب	الباب
٢٤ العقد الجمل القصير القوائم الطويل	١٩ فطائنه بمعنى خنقته
السنام فاذا مشى مع الجمال قصر من	٢٩ السيرب اسنان الجارية
طولها واذا يرك معها طالها طول سنامه	٢٩ الكتيبة الناقه جمع حياؤها وشد بالكاتبه
الحُرّ حي من العرب	٢٩ الجراب الفتح (?)
الحُرّ الرماد	١١ الاوت البفنة (?)
المطر كثرة السواك	٢٦ البرطنج الحزام العريض
النفس الماء	٧ الحاجة الشوكه
٣٠ الفواس (ان لم يكن مصحفاً) تشنچ	المقدمة الخواج بمعنى الجوع
سعف النخل	٢ الديباج الناقه اللينة المس
٢٩ الخشخاش (بالكسر)	١٠ السرج الحسن
٢ الابيض عرق في القفا	٣ السلاح شحم الاوبل
١٦ الحوض الحركة	٣ الخوخة الثوب الاحمر
٢٧ السرطان (بالفتح) هذا الداء المعروف	٢٤ الدود الحصف (?)
٤ الجمع النخل الذي يحمل رطباً كبير النوى	١٨ الأرقد او الرقد السم
٢٠ الارضاع المواسلة	٨ الرماد الهلاك
١٩ قطعته بمعنى خنقته	١٨ و ١٦ الصيد الماء وكل ما يصاب بلا تعب

الباب	الباب
١٨ البدن الرجل المتناسك في جسمه	٢٤ الحصف أحكام قتل الحبل
٨ المجذبة طبق الخبزات	٢ مرقعة الحرير بفتح الزاء وكسرهما
٢٢ الظن القسم	واحدة السرقة
١٩ العين خاصة الملك ووليّه	٨ الشولقي الطفيلي
٩ الحياء فرج المرأة	١٦١ الحركة منع البحر الصيد
١٩ الركبة اصل الصديانة	٣ الفرسكة بالقاء الخوخة
١٦ العليان الناقة السريعة	٢٩ المسال التراب
١٦ الفناء هو الشاء لغة	١٥ الحرام النملة
	٣ الشمع البيضاء
	تم والله الحمد على ذلك سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٦ (مايو سنة ١٩٢٨)
عبد العزيز المجني	بعلبكورة (الهند) على يد العاجز
الراجكوتي	



الاندلس

— ٣ —

« عبرة وذكرى »

- قسمنا الحكم الأموي الى ثلاثة أدوار : (١) الولاية (٢) الامارة (٣) الخلافة .
 وتكلمنا عن الدورين الاولين ، ونحن الآن متكلمون عن الدور الثالث وهو الخلافة .
 نبدأ بالاحداث السياسية ، ثم ننثني بالاعمال العمرانية ، على ما اخذنا به نفسنا من قبل .

الحالة السياسية قبل عبدالرحمن الناصر : قلنا : ان الأمويين كان قد التاث امرهم بعد عبد الرحمن الاوسط ، فذهب الضعف والدسائس الى جهاز الدولة ، واخذت الفتن والفوضى يخنقها ، وجعل اعداء الدولة الاموية يرقبون زوالها في الغرب ، بين حين وحين ، كما زالت من قبل في الشرق .

وبينا العرب وامرهم عليه غمة : يزدادون فُرقة فيزدادون ضعفاً ، والاسبان : يزدادون وحدة فيزدادون قوة ، اذ بعبد الرحمن بن محمد المقتول ابن عبدالله ، يبايع له بالامارة بعد جده عبد الله .

ومحمد هذا ، كان قتله اخوه المطرف بن عبدالله بعد ان ابصر عبدالرحمن النور بهوم واحد . فنشأ عبدالرحمن في سحر جده عبد الله . وبوبع له بالامارة وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . وبالحضرة اعمامه واعمام ابيه ، فلم يختلفوا فيه .

وما ادري كيف انفقوا على مثله فني ، في زمان كان فيه الاب يقتل ابنه في اقل من الامارة . ولعل قومه رأوا ما كانت عليه دولتهم من القلق والاضطراب ، وشعروا بما كان يهددها من زوال ، وآسوا بعبد الرحمن مضاء العزيمة والحزم ، فجمعهم اليه ولو الى حين ، خوفاً من سوء العقبى .

واذا كان الامر قد آتاه من هذه الوجهة ، فقد فاست في وجهه من وجهات أخرى مصاعب حمة ، لا نقل شيئاً عما كان لقيه جده عبد الرحمن الداخل . خوارج متوئبة عليه في الداخل ، والاعداء متربصة به الدوائر سيف الخارج ، الاسباب من الشمال ،

والفاطميون من الجنوب . فكان عليه ان يضرب بسيف جده الداخل ، فيقاتل اهل البلاد من قومه ، ومن الاسبان ، وان يقاوم الفاطميين بدلاً من العباسيين الذين قاتلهم جده .

سياسته : رأى عبد الرحمن ان سياسة الضعف والتردد التي سار عليها الامراء المتأخرون من بني أمية ، قد أدت الى تفكك عرى الوحدة القومية ، فكان من وراء ذلك جماع العرب ، وطماع الاسبان ، فأخذ من امره بالحزم والشدة . غير انه حزم كانت لنقطع له نياط القلوب ، وشدة كانت نقشعر لها الابدان ، في كثير من الاحيان .

اظهاره الخلافة : ومن أهمه انه كان يهتيل الفرص فلا يتركها تمر مر السحاب . بلغه سنة ٣١٧ ان المقتدر بالله العباسي قد قتله مولاة مؤنس المظفر ، فبادر عبد الرحمن فأعلن الخلافة واتخذ لنفسه القاب : تسمى بامير المؤمنين ، وثلقب بالناصر لدين الله ، وضربت السكة باسمه ، وخطب له على منابر البلاد ، وبعث الى الجهات بنشور جاء فيه : « اما بعد ، فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه . للذي فضله به ، وأظهر أثرنا فيه ، ورفع سلطتنا اليه ، وسير على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مراده . وللذي اشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو امرنا ، واعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعان من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا . والحمد لله ولي الانعام بما أنعم به . واهل الفضل بما نفضل علينا فيه . »

وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين . وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك . اذ كل مدعو بهذا الاسم منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتعم بما لا يستحقه ، وعلما ان التماذي على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق اضعناه . واسم ثابت اسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك ان يقول به . وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله . والله المستعان . »

ولسنا نقف عند ما قاله مؤرخونا من ان قتل الخليفة العباسي موالذي دعاه الى اعلان الخلافة ، فلقد كان ذلك سبباً من الاسباب لا السبب كله ، والا فقد قتل قبل المقتدر غير واحد من الخلفاء العباسيين ، فما تجرأ أموي في الغرب بدعوة ، ولا طالب من الخلافة بحق . ذلك ان القوم كانوا يعدون الخلافة الصحيحة خلافة المشرق ، فكان كل

عز يز منهم يرمي بإبصاره اليها ، وكانوا يرون في أمارة الاندلس مدرجة الى العودة الى الملك القديم . وحسبنا على ذلك ان عبد الرحمن الداخل ، خرج من الشام طويلاً مشرداً ، لا ملك له فيه ، فأسس في الغرب الملك الذي رأينا غير انه ما يرح ينشوق الى الشام وبعد نفسه في الاندلس غرباً .

وقد هم غير واحد من أمية بغزو المشرق والعودة اليه ، لولا ان شغلهم من الحروب والفتن ما ذكرت بعضه ، فلما هُزم عبد الرحمن الناصر من امر المشرق ، وقد توسعت بينه وبين خلافتها خلافة جديدة ، هي الخلافة الفاطمية بالمغرب ، رأى ان يكتفي بالاندلس ، يعلن فيها خلافته ، ويمشي بها رجوعاً الى ناحية المشرق على قدر ما يئبد معه الفتح .

إذا لم تستطع اسراً فدعه وجاززه الى ما تستطيع

ونحن بعد ، نحمل اعلان هذه الخلافة في أسباب خمسة :

- ١ — مكانة عبد الرحمن الناصر وطموحه
- ٢ — وقوف آماله عن غزو المشرق
- ٣ — قيام الخلافة الفاطمية وتوسطها بينه وبين الخلافة العباسية جرثومة الخلافة ، وانشغاله عن هذه بتلك :
- ٤ — ضعف الخلافة العباسية والاثبات امرها .
- ٥ — قتل المقتدر العباسي

والسبب الخامس هو حجة ظاهرة انجلبها عبد الرحمن بتذرع بها ، وهو انه لم ينزع الخلافة من صاحبها انتزاعاً ، وان كانت حقه ، ولكنه وجدها عاطلة تائهة فأواها وحلاها . أسلوب من أساليب الحيل السياسية من قبل ومن بعد .

حروب عبد الرحمن وقمه للفتن : نهض عبد الرحمن الى الحرب بإبصاره بنفسه ، فقاتل الدوار وهم كثير ، في غير موطن قتالاً متواصلاً ، وكان أشدهم عليه بنو حفصون ، وأولهم عمر . قال ابن خلدون : وهو اول ثائر كان بالاندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها ، وفارق الجماعة ايام محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٧٠ هـ خرج بجبل يشتر ()

من ناحية رِيْنَة ومالِقة ، وانضم اليه الكثير من جند الاندلس . وابنتي قلعتيه المعروفه هناك . واستولى على غرب الاندلس الى رُنْدَة ، وعلى السواحل من الشجعة الى البيرة . ومهما يكن من النظر في قول ابن خلدون ، من ان ابن حفصون هو اول ثائر ، فان الرجل كاتب قدم مر عليه وهو ثائر عشرات من السنين ، قاتل فيها اربعة امراء من الأمويين : محمداً والمنذر وعبدالله وعبد الرحمن ، وراسل ابن الاغلب بإفريقية ، وظهر دعوة بني العباس ، وخالف ملك الجلائفة ، وأعلن دعوة عبيد الله المهدي . فكان ابن حفصون هذا رجلاً قد عشن الخلاف في رأسه ، وفترخت الفئنة في قلبه ، فرماه الله بعبد الرحمن ، فما زال به حتى راجع طاعة بني أمية . ثم تغلب عبد الرحمن على أبنائه من بعده : سليمان وجعفر وحفص أبناء عمر بن حفصون . بعدما تكرر من نكثهم ورجوعهم . فانقرض امر بني حفصون بعد ثورات دامت خمساً واربعين سنة من ٢٧٠ — ٣١٥ .

ولم يشغله قتال الثوار ، عن الاسبان والفاطميين . فكانت ايامه كلها جهداً وعناءً بما لي من عنت الخوارج ، وتمرد العصاة ، وطمع ملوك الأطراف من المسلمين ، وقتال امراء النصراني في استوربا ، ونوارة ، وملكي [لاون] اوردنيو الثاني ، ورامير [ردمير] الثاني ، ومحاربة الفاطميين في إفريقية بعد ظفرهم بالادارسة ، وايغال جنوده الى السودان المصري . ومع هذا فقد خرج من معظم تلك الحروب ظافراً . فدوخ البلاد ، واخذ الفتن . وظفر بالمنقضين عليه ، لم يراع منهم كبيراً ولا صغيراً ، قريباً كان او بعيداً ، قتل اخاه القاخي بن محمد ، وابن عم ابيه محمد بن عبد الجبار ، عند ما آتس منها نية الانقراض عليه ، بل قتل ابنه عبد الله بن عبد الرحمن لمثل ذلك .

فاستقامت له الاندلس بعد سبع وعشرين سنة ، فضاها في قتال كان يشهد اكثره بنفسه ، الى ان كان عام الخندق ، في آخر الربع الاول من القرن الرابع ، يوم اوقع رامير ملك لاون واشتورش بالمسلمين فقتل منهم خمسين الفا . فقام عبد الرحمن بعد ذلك عن الغزو بنفسه ، وصار يردد الصوائف في كل عام . فبلغ من بلاد الفرنجة ما لم يبلغه غيره . وراسله ملوك النصراني ، ووافدوا عليه رسالهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية مهادنة له ، وتزائفاً الى مرضاه . وجلس للوفود مجلساً عاماً كان من الايام المشهود في تاريخ العرب ، ظهرت فيه الخلافة الاندلسية في مظهر من الابهة والعظمة والرخامة ، ليس بعده غاية .

وعرضت الجيوش ، وأنشدت الاشعار ، وألقيت الخطب ، فشهدت الوفود مشهداً ترك في نفسها أثراً كبيراً من قوة الدولة ونظامها .

واتاه الملوك المتناخون لبلاد المسلمين في الاندلس . ومما الى ملك العدو فآخذ سبتة ، ونقل الفضة من ايدي اهلها ، واطاعه بنو ادريس امراء العدو ، وملوك زفانة والبربر . وفتح طليطلة ، وقرمونة ^(١) ، واشبيلية ، وكثيراً من البلاد العاصية والبلاد المستقلة .

ومما يمد له في الدماء ، ومكارم الاخلاق ، ويجمل بالامراء من اصحاب الوطنية الحق ان يقتدوا به ، ما كان منه نحو اردون (اردونيو) ملك لاون ^(٢) وقد غزا بجيوشه ماردة ،

(١) قرمونية او قرمونة وهو الاكثر ، كورة بالاندلس يتصل عملها باعمال اشبيلية غربي قرطبة وبينهما اثنان وعشرون فرسخاً ، وشرقي اشبيلية وبينهما سبعة فراسخ . قديمة البنيان . عصت على عبدالرحمن بن محمد الأموي فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه .

قال ابن صارة الاندلسي في بعض ملوك العرب — ولعله الناصر — وكان قد فتح قرمونة :

اظلّ على قرمونة متحلياً مع الصبح حتى قلت كانا على وعد
فارملها بالسيف ثم اعارها من النار اثواب الحداد على النقد
فياحسن ذاك السيف في راحة العلى ويا برد تلك النار في كبدا المجد

(٢) أردنيو (Ordugno) اسم عدة ملوك من ملوك استور ياس ولاون ، اشتهرهم اردنيو الثاني ملك من سنة ٩١٢ — ٩٢٣ هجر او قيادو وأقام بلاون واخذ طليطلة وخربها وحارب عبدالرحمن الناصر سنة ٩١٦ ومضى لمساعدة نواره وانكسر في واقعة فال جنكو برا سنة ٩٢٢ . وقال ابن خلدون : وفي اول المئة الرابعة للهجرة ملك على الجلالقة اردون ابن رزمير بن يرمند بن قربول بن اذفونش بن بيطر وخرج سنة ٣٠٢ الى الثغر لجوفي لاول ولاية الناصر وعاث في جهات ماردة واخذ حصن الحفش وبعث الناصر وزيره احمد ابن عبدة في العساكر الى بلاده فدوتها ثم أغزاه ثانية ٣٠٥ فنكث ؟ وقتل ؟ ثم أغزى دراً مولاه فدوتخ ورجع ثم غزا بنفسه بلاد جليقية ٣٠٨ واستنصر اردون بشانجة بن

فنهبا وعاث فيها ، واخذ حصن الخنش وانتهى الخبر الى عبد الرحمن وهو مشغول بحاربة الفاطميين بافريقية ، فلم يعقه ذلك ، ولا منعه ان ماردة كانت ثائرة عليه ، من ان يوجه الى نصرتها وزياره احمد ابن ابي عبدة^(١) فيهمز الاسبان ، ويغنم منهم غنائم كبيرة ويسبي فيهم سبياً كثيراً .

استألف الناصر جيرانه بعهود عقدها بينه وبينهم ، منهم اردب (اردونيو) الثاني ملك ليون و (شانجه) سانكو ملك نافار البشكنس .

كان عبد الرحمن من الملوك الذين لا يجود الزمن بامثالهم الا قليلاً . ما نقول هذا عصبية قومية بل حقيقة تاريخية ، اعترف بها مؤرخو الغرب فأوسعوا لام عبد الرحمن مجالاً في كبريات معلماتهم على قلة ما يفعلون ذلك برجالنا .

وعبد الرحمن الناصر كان عظيماً في كل شيء . سيفه تدبيره وفي همته ، وفي حربه وفي بأسه ، وفي فتكه وفي عفوه ، وهو ما اشرنا اليه . وفي مناصرته للعلم ، ومعاضدته للعمران ، على ما نذكره في موضعه . واذا كان بعد عليه انه قتل ابن عم ابيه ، وقتل اخاه ، بل قتل ابنه ، فهذا امر لا يعنينا كثيراً لانه من الامور الخاصة ، وهو اعلق من حيث العواطف بنزعة الرحمة والشفقة ، منه بباب الحزم والسياسة ، بل قد يكون الحزم والسياسة في ما فعل ، على هول ما فعل وفضاعته .

غير ان ما نعهده عليه ، ونؤاخذ به ، مما يرجع الى السياسة العامة ، ويتعلق بيميننا القومية ، هو انه اضعف العصبية العربية ، بتقديمه الموالي على العرب ، وتأخيرهم عليهم ، على نحو ما فعل العباسيون في بغداد . فكان ذلك زائداً في تفكيك عرى الامة ونحاذها ، وفي بعد الشقة بين ابنائها ، وقيام بعضهم على بعض ، وفي ضياع الرهبة من القلوب ، امر اذا حال سلطانه دون ظهوره في ابامه ، فقد كان ضرره بعد ذلك خطيراً .

غرسية ملك البشكنس (البسكة) وصاحب بيلونة فهزمهم الناصر ووطي بلادهم وخر بها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية الى ان هلك اردون وولي بعده ابنه غروبله سنة ٣١٣ . (١) وفي دائرة المعارف الجزء الثالث ص ٤٠ وفي ما مر معنا من كلام ابن خلدون احمد بن عبدة .

وفاته وولايته : توفي عبد الرحمن سنة ٣٥٠ (٩٦١) فكانت ولايته خمسين

سنة قمرية .

الحكم : انتهى اليه الامر بعد ابيه عبد الرحمن الناصر ، فهد الامور على السنة التي كان استقنها ابيه ، من عقد المعاهدات مع جيرانه ملوك الاسبان . ذلك بعد ان حارب بعضهم ، ونكث البعض الآخر عهده الذي كان عقده مع ابيه . فظهر عليهم ، ودفع عاديتهم ، واوغل في بلادهم ، فاحتل بعضها . وشرط عليهم في المعاهدات التي عقدها معهم شروطاً كانت في مصلحة المسلمين ، فنزلوا على حكمه ، وقبلوا بها وأخلدوا الى السكينة . فأمن جانبهم .

وظهر النورمان او المحوس على لغة العرب في مياها اشبونة ، وعاث قرصانهم فساداً في الثغور ، فقاتلهم الاهلون الى ان وصل الاسطول الذي أرسله الحكم ففروا وأخلوا البلاد . ثم انفت الى المغرب الأقصى وكان صاحبه الحسن بن كتون — آخر ملوك الادارسة — قد نكث عهد قومه مع الناصر وحالف العبيديين ، فلما عاد جوهر قائد العبيديين من افرريقية الى مصر ، عاد الحسن لخالف الحكم . ثم ثار بلكين بن زيري امير صنهاجة وزحف الى المغرب فدخل الحسن في طاعته ونبذ طاعة الأمويين مرة ثانية . فلما رجع بلكين الى افرريقية ارسل الحكم الى الحسن جيشاً ضخماً عبر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فتغلب على الحسن وجيء به الى قرطبة . وسار الجيش الى فاس فامتلكها وأضافها الى بني أمية وقطع دعوة العلويين من تلك البلاد .

اخلاق الحكم : كان الحكم عالماً عارفاً بالتاريخ والشريعة ، حتى قيل عنه انه اعلم بني أمية . جاب له ابيه مشايخ العلماء وجلبهم في الشرق والغرب ، فخرج بهم وكانت له تعليقات بخطه على كثير من كتبه وبذنب اليه شعر رائق :

وفاته وخلافته : توفي الحكم ثاني صفر سنة ٣٦٦ فكانت خلافته ست

عشرة سنة .

هشام المؤيد بالله : ولي بعد أبيه الحكم، وسنه عشرة أعوام وأشهر. فكان له من الخلافة اسمها ولقبها ، والامر كله لابي عامر محمد بن عبدالله بن ابي عامر، مؤسس الحجابة العامرية^(١) بل دولة بني عامر كما كانوا يسمونها .

دولة بني عامر : مبدأ امر ابي عامر: انه ورد شاباً من طُرُش (تور كس) من الجزيرة الخضراء الى قرطبة . فطلب العلم والادب وسمع الحديث وتميز في ذلك . وكانت له همة يحدث بها نفسه يادراك معالي الامور ، ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة ، الى ان تعلق بوكالة السيدة صبح^(٢) ام هشام المؤيد بن الحكم المستنصر والنظر في اموالها وضياعها ، فزاد امره في الترقى معها ، الى ان رغبت الى الخليفة في توليته القضاء فولاه ، فظهرت نجايته ، فترقى الى ولاية الزكاة والمواريث باشبيلية . فلما توفى الحكم ، وهشام صغير ، وخيف الاضطراب ، ضمن ابو عامر لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها . وكان ابو عامر قوي النفس . وساعدته المقادير ، وأمدته المرأة بالاموال ، فاستمال العساكر اليه ، وجرت أحوال عت قدومه فيها ، حتى صار صاحب التدبير ، والمتغلب على الامور . وحجب هشاماً ، وتلقب بالمنصور ، وامر بالدعاء باسمه على المنابر عقب امم الخليفة، ثم تجرد لرؤساء الدولة من عانده وزاحمه ، فخطهم عن منازلهم ، وقتل بعضهم ببعض . كل ذلك عن امر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى استأصل شأفتهم ، ومزق جموعهم ، لا مستثنياً أموياً ولا ولداً ، بدأ بالمغيرة بن عبد الرحمن الناصر اخي الحكم فقتله ليلة البيعة لهشام ، بمالأة الحاجب جعفر ، وقاتل حماد غالباً مولى الحكم فقتله . وحمل جعفرأ على نكبة الصقالبة الغصيان فنكبهم وشردهم ، وكانوا ثمانمائة او يزيدون . ثم قبض على جعفر نفسه فسجنه حتى مات ، وقتل ابنه عبدالله بن ابي عامر . ومضى يقتل من يخشى منهم من بني أمية وزعماء القبائل ، يُظهر انه يفعل ذلك حماية للمؤيد وشفقة عليه . حتى افنى من

(١) لما قسم بنو أمية خطط الوزارة بالاندلس جعلوا بين الوزراء والخليفة رسولاً يتروّد بينهم في المهام سموه باسم الحاجب فارفع عن الوزراء مباشرة للسلطان في كل وقت وعلا مجلسه عن مجالسهم وكان يحجب السلطان عن الخاصة والعامّة . فأشبهت خطته رئاسة الوزارة . (٢) وهي شهرانية نافارية .

يصلح منهم للولاية والراية ، ثم شرد باقيهم عن البلاد ، وجردهم من الأموال ، فدانت له أقطار الاندلس كلها وأمنت به ، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته لعظم هيئته ، وفروط سياسته . واستوزر جماعة من أهل العلم والأدب . ولم يزل أبو عاصم طول أيام مملكته مواصلاً لغزو الروم (الاسبان) مفرطاً في ذلك لا يشغله عنه شيء . وبلغ من حبه للغزو انه ربما خرج للمصلى يوم العيد فحدث له نية في ذلك فلا يرجع الى مقره ، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره الى الجهاد فنذبه عساكره وتلحق به ، أولاً فأولاً . فلا يصل الى أوائل بلاد الروم الا وقد لحقه كل من أراده من العساكر . غزا في أيام مملكته نيفاً وخمسين غزوة ، وفتح فتوحاً كثيراً ، ووصل الى معاقل فدكات امتنعت على من كان قبله ، وملأ الاندلس غنائم وسبياً من بنات الروم واولادهم ونسائهم .

وفي أيامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بنسائهم من الثياب والحلي والدور ، وذلك لرخص اثمان بنات الروم ، فكان الناس يرغبون في بنائهم بما يجهزون به مما ذكرنا . ولولا ذلك لم يتزوج احد حرة .

قال المراكشي صاحب تاريخ الاندلس الذي نقلنا عنه معظم هذا الفصل : باغني انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع فلم تساو اكثر من عشر بن ديناراً عامرياً .

كانت وفاة ابي عاصم المنصور باقى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم سنة ٣٩٣ بعد ان ملأ الاندلس بمجديث انتصاراته وفتوحاته ، في الجنوب والشمال ، واغنى البلاد بالغنائم والاموال .

وابو عاصم من اجل ملوك الاسلام عظمة وشأناً ، واكبرهم فقهاً واعظمهم سلطناً ، استوثق له ملك المغرب وملك العدونين ، وكان من اكر رجال السياسة واشدهم استبداداً على عدل في الرعية ، ونصفه في الاحكام . وقد طالت امارته نحواً من سبع وعشرين سنة . وخلفه ولده عبد الملك المظفر ابو مروان وكان مقننياً اثر ابيه في الجهاد فتحرس ملوك الاسبان بمحدود المسلمين لاول ولايته ، فأوقع بهم بما كان من هيئته في قلوبهم ، فاخذوا الى السلم . فكانت ايام المظفر على قصرها اعياداً في الخصب والامان . توفي سنة ٣٩٨ قيل سموا بمه اخوه عبد الرحمن فكانت ولايته سبع سنين . خلفه اخوه عبد الرحمن هذا

وتلقب بالناصر لدين الله . ولم يقف به الامر عند الحجز على الخليفة ، والاستبداد بالسلطان ، كما فعل ابوه ثم اخوه ، بل حاول ان يستأثر بما بقي من رسوم الخلافة ومظاهرها . فأكبره هشاماً انت عهد اليه في الخلافة من بعده ، واستكتبه عهداً موثقاً بأنه لما « لم يجد عنه مذنباً ، ولا الى غيره معدلاً ، خرج اليه من تدبير الامور في حياته ، وفوض اليه الخلافة بعد وفاته ، طائعاً مختاراً مجتهداً ، وامضى امير المؤمنين هذا واجازه وانفذه ، ولم يشترط فيه ثمنياً ولا خياراً ، واعطى على الوفاء به ، في سره وجهه ، وقوله وفعله ، عهد الله وميثاقه وذمة نبهه (صلى) وذمة نفسه ، ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً . واشهد من اوقع اسمه في هذا وهو جائر الامر ما في القول والفعل ، بحضور من ولي عهده المؤمن ابو المظفر بن المنصور وفقه الله تعالى وقيد له ما قلده ، والزمه نفسه ما في الذمة . وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثمان مائة وتسعين وثلاثمائة . » هذا ما كتبه صاحب الحق الموروث في الخلافة الاموية الاندلسية طائفاً ٠٠٠ مختاراً ٠٠٠ . ومجتهداً ؟ وقد علمنا الحرب وما عقبها قيمة الطوعية والاختيار والاجتهاد في ما يكتبه المستضعفون والمعمييون والمرتقة من المضابط في مثل هذه الحوائق .

عظمت هذه البيعة على الناس عامة ، وانصار الامويين خاصة ، فكانت صفقة هائلة دفع فيها ولي العهد المؤمن ، ابو المظفر بن المنصور ، حياته ثمناً لها .

* * *

الفوضى وخلفاء الفتنه : وكان امر آمة دوراً ان ينفق الناس على خلع هشام المؤبد ، بعد ان رأوا من حاله مارأوا ، وبعد ان أصبح ضحكة الخلفاء . فبايعوا لمحمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر وذلك في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ (١٠٠٩) .

محمد بن هشام : قام محمد هذا بقرطبة فالنف حواليه الغاضبون من قريش عامة ، والامويين خاصة . والعرب ولا سيما اليمانية . اولئك ، لما عظم عليهم من استبداد البربر بالامر منذ ايام الناصر الى آخر دولة العاصميين ، واليمانية لما ركب اكتافهم من تحكيم القيسية الذي طال عليهم امده .

تلقب محمد بالمهدي ، واخذ المؤبد فخبسه ، وبلغت انبياء هذه الفتنة عبد الرحمن

العاسري وكان بجليقية غازياً ، فقتل راجعاً الى قرطبة ، فلما قرب منها انتفض عنه جمعه ، وخذله حتى البربر : انصار الدولة العاسرية ، لسوء تدبيره ، ووثب به الشائرون فاحتزوا رأسه وحملوه الى المهدي . وكان عبد الرحمن قد قتل اياه هشاماً ، فانقضت به دولة العاسر بين سنة ٣٩٩ .

واشتد المهدي على البربر انتقاماً منهم ، ونقرباً الى العرب فأبعدهم عنه ، وامر بهم ان لا يركبوا ولا يملحوا سلاحاً ، وصادرهم وثار بهم الدماء فانجهبت دورهم . فأثمر البربر بينهم بخلع المهدي ومبايعة هشام بن سليمان الناصر ، ففشا الامر ، وتغلب عليهم المهدي فأزعجهم عن قرطبة وجاء بصاحبهم هشام بن سليمان ، واخيه ابي بكر ، وغيرهما من الزعماء ، فغضب اعناقهم .

واجتمع البربر بظاهر قرطبة ، وخلق بهم سليمان بن الحكم ابن اخي هشام المقتول ، فبايعه اصحاب سحمه ، ولقبوه بالمستعين . ونهض به اصحابه الى طليطلة ، واستنجشوا بصاحب قشتالة فكاث الى اجابتهم — على جاري العادة — سريعاً ، أمدهم بالجند والمال ، فسار سليمان الى قرطبة في جمع من البربر والنصارى ، فانكسر المهدي بعد معركة قتل فيها من رجاله خلق كثير ، فيهم الأئمة والعلماء ، وفر من قرطبة فدخلها سليمان وذلك من شوال سنة ٣٣٩ نفسها . فكانت خلافة محمد المهدي بضعة اشهر .

سليمان بن الحكم : ولي الامر بعد ان تغلب على المهدي .

اما المهدي فلحق بطليطلة واستجاش في نوبته إسماجة اوشانجة (سائكة الثالث ملك نواره وقسطيلة) فأعجده . فكر المهدي راجعاً الى قرطبة فكشف عنها المستعين . ففر هذا باصحابه ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه . وذلك في منتصف شوال من السنة المذكورة .

فكانت خلافة المستعين هذه ، اياماً معدودة من شهر شوال .

محمد بن هشام : فلما عادت هذه الخلافة الحائرة الى محمد المهدي مرة ثانية ، خرج في جيشه وجيش الاسبانيول — الذي أمده به صاحب قشتيلية — لقتال المستعين ،

وكان المستعين قد لحق بشاطبة ونفرق اصحابه في البلاد يعيشون فيها فساداً .
وانكسر المهدي وعاد الى قرطبة مدحوراً ولحق به المستعين فحاصرها .

هشام بن الحكم : واشتد الامر على المهدي فرأى ان يعيد هشاماً المؤيد بل المقيد ،
صاحب العامر بن ، وسجين المهدي نفسه ، وهو الذي كان قبل الفتن . وقام المهدي في
حجابه تسكيناً للثورة ، وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٩ . فلم يفل ذلك من غرب الفتن ،
ولا رفع الحصار عن قرطبة . فوثب الصقالبة على المهدي صاحب الحجابة بعد الخلافة
فقتلوه دفعا للفتن . وذلك يوم الاحد السابع من ذي الحجة سنة ٤٠٠ .

وسعى المؤيد في ان يصرف اليه البربر عن المستعين ، فلم يوفق . وتعمد المستعين
للافونس الخامس ان يسلمه ما فتحه الحاجب المنصور من حصون قسطنطينة ، ان هو أعانه على
خلع المؤيد . وبلغ الخبر المؤيد فرأى ان يدخل مع المستعين ابن عم ابيه في المناقصة .
فتعمد للافونس ان ينزل له عن هذه الحصون فوراً ان هو لم يجحد المستعين . ورأى
الفونس في مناقصة المؤيد صفقة اربح من صفقة المستعين ، هذا يسلم الحصون تسليماً
معلقاً ، وهو يحتاج الى قتال يقاتله معه ، والمؤيد يسلمها ناجزة من غير قتال ، فرغب في
الثانية عن الاولى ، وأجاب المؤيد الى طلبه ، وتسلم الحصون .

وعاد المستعين يضيق على قرطبة الحصار . ثم انهم الزهراء ، وما زال بقرطبة يراودها
القتال وبغادياها ، وبنأى احيانا عنها ثم بدانيها ، حتى استولى عليها بعد معارك طويلة ،
وقتل انصل الى منتصف شوال سنة ٤٠٣ . كان يكون مرة له ومرة عليه .

سليمان بن الحكم : عاد المستعين الى قرطبة في ذلك التاريخ ، فعادت الخلافة اليه .
وكان الخلافة كانت في الغرب في ذلك العهد ، موقوفة على من يملك قرطبة ، كما كانت
في الشرق ، موقوفة في الغالب على من يملك الحرمين . وقبض سليمان على هشام المؤيد
واخفاه ثم قتله سراً . واتي البربر اصحاب المستعين من الافاعيل في الزهراء وقرطبة ،
ما قضى على شطر كبير من الحضارة والعمران ، وانزلوا انواع المعرفة واصناف السذاب
بالسكان ، الشيوخ والاطفال والرجال والنسوان . ونفرق البرابرة على الولايات الاندلسية
بقتسمونها بينهم ، ويفتحون فيها في الناس ، ووثب بعض العرب كل منهم في ناحية

استولى عليها ، فكان ذلك مبدأ ملوك الطوائف .

غيران المستعين تعرض عن تلك الولايات الضائعة ، والسلطان المضطرب ، لقباً جديداً هو الظافر . اضافهُ على اسمه الكريم الى لقبه القديم ، يقوّي به ملكه الضئيل . فاصبح سليمان بن الحكم : المستعين الظافر . المستعين ! ومن ؟ بالفونس عدو وطنه ، وبالبرابرة اعداء قومه . والظافر ! وعلى من ؟ على ابناء عمومته كجاً ، وعلى ذوي قرابته وقومه ، دماً عصبيةً .

ولم يطل امره حتى تغلب عليه ابن حمود العلوي وقتله بيده في المحرم من سنة ٤٠٧ هـ ١٠١٦ م .

(لها بقية) عارف النكدي



حول كتاب من كتب الجاحظ

قد خدم العلامة محمد راغب الطباخ العلوم الاسلامية خدمة كبيرة بنشر كتاب^(١) الدلائل والاعتبار للجاحظ اذ ان كل كتاب من فلم هذا الفيلسوف الشهير يزيد في تقديرنا لتتري العلوم في زمانه وليس قصدي هنا تقريظ الكتاب ولا المؤلف وكانت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٥٣٨٣٦ وعزم صديقي المئرجيب (Gibb) احد اساتذة المدرسة الشرقية في لندن على نشرها فأخذ منها نسخة لهذا السبب ولكن لما زار مصر حديثاً اهداه الى العلامة احمد زكي باشا . ولما كانت الطبعة منقولة عن نسخة واحدة أحببت مقابليها بالنسخة اللندنية وهذا ما وجدته : اولاً ان للنسخة اللندنية مقدمة ليست في المطبوعة وهي ايضا اقل حجماً بكثير ولتنهي في وسط المطبوعة تقريراً ومع هذا ان اكثر العبارات مقنضبة ولكن لا شك انها الكتاب نفسه فرائي ان الناسخ اقتصر على ما ظنه مؤدياً للمراد . ورجائي انه سيكون نافعا أن انشر ما نقص من اول الكتاب ولقد صححته على حسب الطاقة لان التحريف كثير من الكتاب الباطني الذي كتب النسخة اللندنية ولجل ان يرى الاختلاف بين النسختين في الالفاظ نقلت ايضا قسماً من اول النسخة المطبوعة للمقابلة بينهما مع الاشارة في ذيل الصفحات الى تصحيح ما أمكن تصحيحه .

ف . كرانكو

وهذا هو الفصل المنقول من اول النسخة اللندنية :

« كتاب العبر والاعتبار تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام على عباده الذين اصطفى . قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

(١) المجمع : راجع تقريظ هذا الكتاب في مجلة المجمع من المجلد الثامن

ص ٤٤٠ .

الحمد لله الذي سمك السماء بقدرته ، وجعل الارض مهاداً بحكمته ، ونظم ما بينهما
ببراهين بادلة (١) خالق الامور المتعادية ، والآلات المتباينة ، والجواهر والاعراض المختلفة
والمنفقات من نور وظلمة وذي سكون وحركة وانس ووحشة وخفاء (٢) ورقة وضعف
وقوة ونوم ويقظة وضحك وبكاء وغضب ورضاء الذي أخفى النفوس في الأجسام والطفها
فبما ترى ثم دبرها بما يحسن (٣) ويشاهد والذوق (٤) واللمس والشم ، وأيدها بالأيدي
والأرجل الحوامل العوامل ، ومكنها من المعرفة والحجة وجعل ما وهب لها من ذلك حجة
لها ان شكرت ، وحجة عليها ان كفرت ، وشاهداً بتبصيرها ان قصرت . والحمد لله الاحد
الواحد الكريم الماجد ، الذي لا تشغل عليه المشاعر ، ولا تتجبه السواثر ولا تدركه الخواطر ،
الاول لا تأويل عدد ، الآخر لا بمعنى غاية بعد الشاهد من غير ممانسة ، البائن لا عن
مسافة الظاهر لا الابصار ، والباطن لا من غير طول الذي دل على نفسه بآيات قدرته ،
الموجود في بريقه ، واستشهد على لطفه بفعله ، وجعل الحجاب بينه وبين خلقه ، ضعتفهم
عن ادراك قدرته ، فذاته مجهولة الاله وآياته معلومة بين خلقه معروفة لما وهب لهم من
تبصرة هدايته ، ليس سواء له ولا غيره رب معبود الذي حجب الابصار عن رؤيته ،
وليس للعقول سبيل الى معرفته ، وأخرس الألسن عن تحديده كنه صفته ، فلا أعين
المؤمنين تدركه ، ولا أنفُس الكافرين تجحده وننكره .

والحمد لله الذي خلق فأحسن الخلق ، وانظر فألقن النظرة ، وفلق الافهام للمعرفة ،
وذلل الجوارح للطاعة ، وهدى الى طريق النجاة والسلامة ، وزجر عن سبيل الضلالة
والجهالة ، ثم مدّ خلقه حبل الامهال ، وبسط لهم في النظرة ووعدهم المغفرة والامانة ،
حتى ارعوى صرعوه واهتدى (٥) مهتدي بعد التخيير والتمهيد ، نقيماً للنعمة وزيادة في
الاعذار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . فنعوذ بالله
الكريم من غلبة الشقوة ، ونسأل الله العظيم الزيادة من البصيرة والمنفعة بالعلم وان لا يجعل
شيئاً منه وبالآ في الآخرة وهو على كل شيء قدير . اما بعد فانه ليس باهل البر والنقي

(١) كذا ولعلمها وادلة . (٢) لعل صوابه وجفاء . (٣) لعل الصواب يحسن . (٤) لعل
صوابه بالذوق . (٥) بالاصل : اتهدي .

ولا يذني الغباوة والردى غناء عن التواضع والدلالة على امكنة الخير والتواصي والنهاي
عن الشر لما في ذلك من التذكرة والتبصرة والتأديب والتهديب والبركة والمنفعة ولو كان
بين عدو الله ابليس الضامن احبناك الذرية الضعيفة الا قليلاً وبين قلوب العباد اخلاق
سوى الذكر لله تعالى لوجب طلب مفااتيحها علينا بتحمل المشاق وركوب الاخطار والتغفل
الى خفي اما كتبها لنا من كيد عدونا الذي يجري مجاري الدم منا ويرانا من حيث لا نراه
وله تسلط على سويداء القلوب وحرص على استزلائنا لنعطب فأوجب الاعداء عباد الله
بان يحذروا من ليس يحرس من كيد حارس سوى التعموذ بذي الجلال والاكرام والنزع
الى تلاوة كتبه وترديد اسمائه الحسنى والتعاني بذكره والهج والعزم بالالتجاء اليه فليكن
بالك ايها الانسان الخلق من ضعف وطين وماء مهين معنيًا بذكر الله تعالى ومتوطأ
بالفرع اليه ومسألة النجاة من كيد عدوك وعدوه والسلامة من خيله ورجله ومكر جنوده
فان لم أفواهاً والسنة تلثم القلوب والاسماع وصوراً مختلفة الفعل لا تترامى للأبصار
ومداخل لطيفة تصل الى النفوس بمراده من الاضلال والاستزلال واعجب واعجب ايها
الانسان من جهل معرفة الواحد الخالق الرحيم الرحمن وقد أراك الآيات والبينات في
الآفاق وفي نفسه والناء والنقص في أحواله وفي أهله وجسمه ووجه الامور التي نتم بها
منافعه والمآرب التي اليها نتناهى مصالحه وكيف تهيأ له قبل خلقه مفروغاً منها قبل
خروجه الى الدنيا مقبحة مكحلة وهو في ظلة الرحم مصنوعة منظومة على أتم صفة قبل
تكوينه وانه لم يمهدها لنفسه ولا ادعى ابوه تمهيداً ولا أمه ولا احد من أبناء جنسه
ثم لبس منها على كثرتها شيء الا وهو مركب تركيباً لم تكن المصلحة نتناهى الى ما دونه
ولا نتجاوز ما فوقه ولا ترغب من شيء منه وان الطبائع جميعها للشهد انهما لم تصنع ذلك
وتعترف بالعجز عنه . ولو ادعت خلاف ذلك لا تقطعت اسباب الحقيقة عن دعواها
وشهد بالحال عليها عجزها واثار الضرورة المحيط بها .

قال ابو عثمان ونحن ذاكرون اشياء من شواهد آثار الصانع في صنعته ومنهون على
أمرار قد أودعها ما يشاهده من فطرته تضطر الى معرفته وتشهد بوحدانيته وتخبّر عن
جلال عظمتة وكمال قدرته وواصفون أعلاماً وآيات وبراهين واضحة شهدت بها الخائز

وتتمتف بذكرها الغرائز وتعرفها الطبائع ولا ينكرها (١) ولا تدفعها العقول بمقدار وسع الطاقة ومبلغ الجهد وما وهب الله لنا من العلم وما نوفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم ليزول الشكوك عن قلوب المرتابين ويتجدد نور اليقين في صدور المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد ألف مثل كتابنا هذا جماعة من الحكماء المتقدمين فما أوضحوا معانيه ولا بينوا المشكل منه فمنهم جبريل بن نوح الأنباري لانه صدر كتابه بغير خطبة ولا مقدمة ورتبه ترتيب الفلاسفة وصدره بكلام منغلق ونظمه نظماً غير متسق فكأن لم يألف (٢) وقبله الف في معناه تودرقوس (٣) أسقف طرسوس كتاباً وضعه في زمان بلنسيانوس (٤) عظيم الروم الذي كان ينسب بالقول بالدهر والعصبة لدين الكفر وكان هذا الملك من اهل التبليس والتدليس وسمى تودرقوس (٥) كتابه كتاب التدبير ونقله من اخذه عنه من السريانية الى العربية فلم يقع بفساد النقل حيث ينبغي ان يقع من الابضاح والشرح وأفسده بتأول الالسته وسوء العبارة .

ومنها كتاب نظمته ثاوريطوس (٦) أسقف قورس كتبه باليونانية وأقل بعده الى السريانية ثم الى العربية فجري مجرى الاول المفسود بتداول النقل والعبارات . ومنها كتاب ألف في ايام بني أمية نظمته يسوعبخت (٧) مطران فارس وكتبه بالفارسية فاكتبه استغلاً . وقد جمعنا في كتابنا هذا محاسن ما وجدنا في هذه الكتب وزيادة بمقدار الطاقة والتوفيق من الله جل ذكره وشرحنا ما نقلنا عن غيرنا وبيننا القول فيما زدنا ورتبناه ترتيباً يؤنق السمع ويسر القلب ويبسط السامع ويوجب التحفة على المخالف وما نوفيقنا الا بالله .

(٨) قال ابو عثمان الجاحظ : ان أناساً لما جهلوا الاشياء التي في الصنعة ندل على

(١) بالاصل يندكرها . (٢) لعل صوابه يؤلف . (٣) بلا نقط بالاصل .

(٤) بالاصل : باسانوس . (٥) لعل الصواب يستينيانوس (Justinianus)

(٦) لعل الصواب ثادرفسطس (Theuphrastos) . (٧) بالاصل يسوعبخت كما ترى .

(٨) من هنا نبتدي النسخة المطبوعة .

الصانع سبحانه والاسباب والمعاني التي في الخلقة وقصروا عن تأمل الحكمة لاشتغالهم
بالمذات نفوسهم وشهواتهم وما آثروا من امر الدنيا خرجوا الى الجحود والانكار والبهت
والتكذيب فأنكروا خلق الاشياء وزعموا انها لم تزل هكذا موجودة وانها على الالهـ
لا على القصد والعمد والتدبير والتقدير فكانوا فيما يشاؤون من الأدلة ويرون من العالم
بمنزلة من دخل داراً وهو اعشى ابس معه قائد يخبره بما فيها و يصف له حسن فرشها
وانقان بنائها وما قد أعد فيها من المآكل والمشارب والملابس والمنافع والمصالح فأقبل
يسمى وحده ويمشي على وجهه فثمر بشيء في طريقه قدميت قدمه فظن ان ذلك الشيء
الذي عثر به مما وضع في غير حقه وهو جاهل بالمعنى الذي وضع ذلك الشيء قبل مروره
وضجر وذم الدار وعاب بانيتها وأنكر حكمته وتسخط فعله الخ .

وفي آخر النسخة اللندنية : وافق الفراغ من تحصيل هذا الكتاب يوم الثلوث (١)
سابع شهر شعبان سنة ١٢٥٨ .



السعادة والاسعاد

هو مخطوط في الاخلاق وقع لي في جملة ما بعرض على المجمع العلمي من الاسفار
فرايته في ٤٤٦ صفحة صغيرة لا تكون واحدتها اكثر من ١٨ سطراً والسطر الواحد بين
٧ و٩ كلمات الا ان في هذه المخطوطة نقصاً من اولها ومن آخرها وعند الصفحة ١٨٠ تم
الجزء الاول . ومن العبارة المذكورة هناك عرفنا اسم الكتاب والعبارة هكذا « تم النصف
الاول من السعادة والاسعاد والله الحمد على الهداية والارشاد » . وجاء في الصفحة التالية
« طالع فيه واحتوى على بعض معانيه أفقر عباد الله تعالى الفقير عثمان بن المرحوم . . .
محمد السكري غفر الله له . . . » . وتغلب الصفحة على الرسم في هذا المخطوط والغالب
انه يرجع عهد كتابته الى القرن السابع او الثامن وهو بخط مشرق مقروء . وتجد
ثلاث نقط على حرف السين من فوق ومن تحت وبعض الصفحات لا تخلو من خرم عولج
بالصاق ورق عليه .

لم نهند الى عصر المؤلف ولكن رأينا يقول قال ابوالحسن وهو كنية المؤلف ،
والمؤلف هو ابوالحسن بن ابي ذر ، ويستشهد صرات بحكيم الاسلام ولا نعرف من يعني بحكيم
الاسلام . ويستشهد بغريغورس فان كان غريغور يوس هو الفرج بن امرون المعروف
بابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول المشهور المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م فيكون
الكتاب مما ألف أواخر القرن السابع او الثامن للعجوة . ولغريغور يوس هذا كتاب في
الشرح المذهب والفلسفة وكان يعرف اليونانية فيكون نقل غريغور يوس عن الاصل
اليوناني او عن ترجمات أخرى كتبت قبل عهده .

وقد اكثر المؤلف من الاستشهاد باقوال أفلاطون وارسطو وغيرهما من فلاسفة يونان
في الاخلاق حتى ليظن ان المؤلف يوناني او من اتباع اليونان في مذهبه . ويقل جداً
الاستشهاد في كلامه باقوال السلف والآيات والحديث ولكنها تذكر كل مرة بالصيغة التي
يذكرها المسلمون في العادة ولكنه قد يقدم عليها أقوال حكماء يونان كأنه يأتيها بالعرض ،

الكتاب فصول وأبواب كثيرة بدأ — بعد هذا الخرم الكبير من الاول — بتقسيم السعادة الى انسية وعقلية ومما قاله في هذا الفصل : « من قول متقدمي الفلاسفة قال أرسطوطيلس قال قوم بان السعادة هي اللذة وظن آخرون انها اليسار وظن آخرون انها الكرامة قال وكان بعضهم ينقل سيفه ذاته من شيء الى شيء فكان يرى اذا مرض ان السعادة هي الصحة وكان يرى اذا افقر انها اليسار . قال وقال بعضهم ان التمام هو الراحة وقال بعضهم السعادة حسن الفعال مع الفضيلة الى منتهى العمر فتخرج (?) ما قاله هؤلاء في السعادة . قال ارسطوطيلس الذي قاله في السعادة من حكيما قوله ليس بصواب ومما يتبين ان السعادة ليست اللذة ان الكثير من اللذات ضارة وقبيحة والسعادة اقصى المختارات . قال ومما يتبين انها ليست باليسار ولا بالكرامة ان اليسار والكرامة من الخيرات الخارجة والخير الذي هو اولى بمعنى الخير هو الذي يكون في النفس لا خارجاً عنها قال واقول السعادة مطلوبة لذاتها واما خير الفعال وكل فضيلة فانما انما يدها من اجل السعادة قال وكذلك اليسار والكرامة انما نريدهما من اجل السعادة . قال ومحال ان يكون الحرص والتعب من اجل الراحة قال وأقول ليس الفعل من اجل الراحة لكن الراحة من اجل الفعل اذ كنا لا نقدر على ادامة الفعل لما يلحقنا من التعب . قال وأنواع التعب كثيرة وهي المضرة بها اكثر من المنفعة ومما يتبين انه ليس الغرض اللذة انه لو كانت الغرض اللذة لم يجوز ان يضطروهم الى الحزن بسببها وانه ليست من لذة بدنية الا والحزن يتقدمها وكثيراً ما يتعقبها .

« ما قاله أفلاطون في السعادة الأدبي (?) وانها هم تقوم . قال افلاطون سعادة الانسان في حياته هي ان تكون حياته فاضلة قال وذلك بان يحيا مدة ما تكون له من الحياة على احسن الأحوال . قال وان السعادة لا تحصل للانسان الا بان يكون سعيداً ببذنه وسعيداً بنفسه وسعيداً بذات يده . قال وذلك بان تصير له الخيرات البدنية والخيرات النفسية والخيرات الخارجة من النفس ومن البدن . قال ولن يستتم له ذلك الا باخلاص من الشرار . قال والشر شر لك غريب واهلي والاهلي هو الذي ينبعث من داخل والغريب هو الذي يرد عليه من خارج قال ونقول اول المراقبة الى الخير مفارقة الشر وأقبح الظلم ظلم المرء لنفسه وذلك بان يحرمها الخير ويوقعها في الشر . »

وعلى هذا المنحى نقل بعد ذلك ما قاله ارسطوطيليس في السعادة الانسية في صفحات غير قليلة ثم جاء « القول في علاج الآفات المؤدية الى الشقاء المانعة من السعادة » وهنا بدت شخصية المؤلف فقال في هذا الباب : « وأقول العلاج من العلل انما يكون برفع الاسباب المولدة للعلل وكل شيء انما يرتفع ويزول بضده فمن الواجب ان يعلم الانسان الاسباب المولدة للشقاء وان يعلم الاسباب التي يقابل كل سبب من أسباب الشقاء ليكون علاج كل سبب بما يقابله ويزيله . وأقول الاسباب التي ذكرناها وان كانت كثيرة فانها ننضم الى سببين الجهل والجور وبان ذلك ان احد الاسباب تسلط النفس الشهوانية على النفس الناطقة وتسلط الغضبية على النفس الناطقة ، واي هاتين النفسين تولت السياسة وتدبير البدن كانت مجردا على الجهل الصرف لانه ليس لواحد منهما بصيرة ولا معرفة ، واحد الاسباب اعتياد العادات الفاسدة ، ومن البين ان ذلك انما يكون من الجهل والجور . واحد الاسباب الأملاني وهي تمنى ان لا يبصر الضر ولا يشين القبح انما يكون من الجهل ، وقد قيل نعوذ بالله من طمع في غير مطعم . واحد الاسباب العمل على الخطا الذي لم يصححه الفكر وهل يكون ما هو هكذا الا الجهل . واحد لاسباب التدبير الردي وهذا ايضا بين انه يكون من الجهل وكذلك التربية الرديئة فانها انما تكون من التدبير الرديء . واما البنية الرديئة فانها لا تؤدى عندي الى الشقاء وذلك انه ليس الشقاء رداءة البنية كما انه ليس السعادة جودة البنية لكن الشقاء ان لا يعيش على قدر حالة الحياة التي هي أفضل لكن الحياة التي هي أردى اه . »

وهكذا اخذ يوالي براهينه في السعادة ثم اخذ بنقل عن ارسطو في الجميل والقبيح ونقل قصة النعمان بن المنذر المشهورة في يومى نعيمه وبؤسه وعن الخير والشر وأورد الأمثلة . وعن اقسام الاشياء وفيه بيان الخير المطلق والشر المطلق وبيان ما ليس بخير ولا شر . وذكر اقسام الخيرات وحد الخير وبين الصناعة والمذهب والبسطة والهوى وما الى ذلك من الخير والشر والنافع والذيد والساذج والسليم والاشياء اللذيذة والمؤذية وذكر القول في الحواس وهل يتفاوت حالها سيف الاذى واللذة والوحشة والالتذاذ والتأذي والانفعال النفساني والانفعال الجسماني وأبان الفرق بين الانفعال وبين الفعل والفرق بين النظر وبين الفكر وأورد أنواع اللذة وأبان ان للانسان لذة يختص بها وانها

انما هي لذة المعرفة وبهان العلة في انه لم صار للانسان لذات مختلفة . وجمع في هذا الفصل بين ما قاله أفلاطون وأرسطوطيلس . ثم ذكر العلة في ميل الناس الى اللذات الجسمية وفي هربهم من اللذات النطقية وبهان ان لذة المعرفة أقد من صائر اللذات كلها وبهان انه ليس كل لذة يجير وانه غير جائز ان نقول بان اللذات ليست يجير على الاطلاق .

ونفني على هذا المثال في التبويب لموضوعاته فذكر القول في ماهية اللذة والاذى ومناقضات الفلاسفة وأورد فصولاً في السعادة القصوى وكيف تكتسب من قول أفلاطون وكذلك السعادة العقلية في رأي ارسطوطيلس وهل يجوز ان تكتسب السعادة القصوى من غير ان تكتسب السعادة الأدنى والآفات المانعة من السعادة القصوى ومن استقامها وعلاجها وآفاتنا . وختم هذه الفصول بقوله : « الحمد لله الذي خلقنا بفضل لفضله ، وبرحمته لرحمته ، ثم هدانا لما خلقنا له ، وعرفنا ما ينفعنا في السير اليه ويعيننا عليه ، وما يثبطنا عنه ويصدنا منه ، لنستعين بما ينفعنا في السلوك الى ما خلقنا له ونتمسك به ، ونجتنب ما يصدنا عنه ونزايه ، حمد ناهض بالنية الى دوامه ، وأصلي على النبي محمد وآله . قال ابو الحسن : ان كتابنا هذا انما هو القسم الثاني من الكتاب الذي سميته السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نبين في هذا القسم العوارض التي تعرض للانسان في حياته ولا ينفك منها في وقت وان راقبه وحدده ونقول فيها عارضة عارضة ونتبين المحمودة منها والمذمومة ونبين وجه علاج الذميمة منها ونبتدي ان شاء الله من القول في الفضيلة انها ما هي والله نعمت في كل امورنا وعليه نذوكل فانه لا حول لنا ولا قوة الا به . ونصلي ونسلم على محمد وآله وسلم » (ص ٦٣) .

لا جرم انه استبان بما تقدم ان المؤلف نفسه هو ابو الحسن وان الناقد من اول الكتاب عشرات من الاوراق لان الباقي نحو ثلاثمائة وثمانين صفحة هذا بقطم النظر عن الاوراق المتممة للجزء الثاني . اما ان نجزم من هو ابو الحسن فالظن لا يغني من الحق شيئاً . فقد ذكر ابن القفطي وابن ابي أصيبعة كثيراً من مترجميها بهذا اللقب ومنهم من كانوا من نخلة الصابئة وكان بعضهم اشتغال بالفلسفة . ولعل بعض الباحثين من لتسع أوقاتهم يحققون في هذا الشأن ويهدوننا الى الصواب في معرفة المؤلف الحقيقي .

تكلم المؤلف في الجزء الثاني من كتابه على الفضيلة وأقسامها والفضيلة الخلقية وعلى

الرزيلة وقال ان الفضائل والرزائل مكتسبة نقلاً عن ارسطوطيلس . وقال في فصل آخر ان الفضائل والرزائل ليست لنا بالطبع ولكنها فينا بالتطبع . ابان كيف تكتسب الفضائل والرزائل وان الرذائل التي لا يمكن الافلاع عنها مكتسبة هي ام غير مكتسبة وهنا عقد فصولاً في العفة وفي الفرق بين المتأدب وذو الفضيلة الكاملة كله نقله عن الفلاسفة ومن فصوله سيفي هذه الاماكن « التماس الراحة بالراحة بذهب بالراحة و يورث النصب » « في الحربة » « في المتغلاف » « في النذالة » « في ان الغني شريتر وخسيس وشقي » « في ان الحر يص لبس بغني وان كثر ماله » « في الرفيع الهمة » « المتبذخ » « محبة الكرامة » « المتصاف وهو المتكبر » « المحجب » « الوضيع » « في ان اهل الحكمة يكونون مهائين والعلة في ذلك » وبدأ هذا الفصل بقوله : « قال أفلاطون ان اهل الحكمة يكونون عمقوتين وذلك من اجل انهم لا يكونون نفاعين قال وليست العلة انفسهم بل اولئك الذين لا يستعملونهم فان الحاجة لاولئك الى اهل الحكمة فاذا لم يأتوهم المحتاجون لم يصلح لهؤلاء ان يذهبوا الى ابوابهم » .

ومن الأبواب التي فتحها بعدد « الحياء » « التقية وهي الخلاعة » « الشجاعة العامة » « الشجاعة الخاصة » « النجدة » « الاشياء المفزعة » « الجبن » « النقم » « الهم » « وجه العلاج في إزالة الهم » « الحسد » « الشجاعة » « في الفرق بين الغضب والهم » « سيف الجنايات التي يجب أن يخفف فيها الغضب » « الفرق بين التأديب وبين الاخذ بالشار » « الحلم » « البغضة » « الحذر من العدو » . وفي هذه الفصول نقل أقوال الحكماء من اليونانيين . وعنون لفصل « في المحبة من كلامنا » : المحبة انفعال بلذة من المحبوب ونزاع الى ان يتصل انفعاله وتخوف من القطع وشغف بالمحبوب حتى لا تبرد بدلاً عنه ، والشغف والنزاع والتخوف انفعالات وبعضها لمدة وبعضها تأذي وبعضها ممتزج فالحب كما قيل حلوة ومرارة وقال الشاعر :

الحب منه حلوة ومرارة سائل بذلك من تطعم اودق

وأقول الانفعال قد يكون بالحس وذلك يقع بالشاهد وقد يكون بالتخييل وذلك يكون في الغائب ولان التخيل نوع من الحس فلا بد من ان يكون المحسوس حاضراً للحاس حتى يفعل فيه . وأقول حضور المحسوس لحاسة التخيل انما هو بالذكر . وأقول

والمذكور شاهد التخيل وفاعل والزائل عن الذكر غائب وكذلك الزائل عن الفكر والفرق ان الزائل عن الذكر نسيان والزائل عن الفكر غفلة .

وبعد هذا ذكر فصولاً في أقسام المحبات وفي تعريف المحبة نقلاً عن قائلها فيها وذكر حد الصديق والفرق بين المحبة والصداقة وان المحبة ضرورية في الحياة وان أكثر المحبات طبيعية نقلاً عن أرسطوطيليس وأتى على أنواع المحبات وعلى لواحق المحبات الذاتية وخواصها ولواحقها العرضية وهل يكره للفاضل ان يصير صديقه زائداً عليه سيفي الفضل وفي السعيد هل يحتاج الى اصدقاء وفي فواعل الصداقة . كل ذلك والكلام فيه منقول عن أرسطوطيليس .

وهناك فصول في ان « المعاشرة ضرورية في الحياة » و « ما يجب للآباء والامهات من حق العشرة » و « بيان المحمود من العشرة والدميم منها » و « سيفي المعاشرة بالمحبة والفعل من دون الاختلاط » « المداعبة والراحة » « الكبير النفس » « في أن الملك والعبودية اسمان يثبت كل واحد منهما بصاحبه » . وختم الكتاب في اقسام الرعايا وفضيلة المسوس وأنواع السياسات ومادة الاسعاد وصورتها (وهنا نقل عن بعض الحدوث من المتفلسفين) وكيفية السياسة وهي الحيلة في اجترار الناس الى طريق السعادة وبيان ان الانسان مفتقر الى معونة الناس له في اكتساب السعادة ومن كيفية السياسة الحيلة - سيفي استدامة العامة والتبرغيب في إقامة العدل وبيان انه ضروري وطباغي في الحياة وعدد أقسامه وقال في كيفية المائلة بذلك انه في النصف الاول من السعادة والاسعاد .

بدأ المؤلف القسم الثاني من كتابه بفصول غريبة مثل « بماذا يجب ان تكون مجازاة المبتدي بالاحسان » « سيفي الاوفصال ماهو » وتفصيل الجنائيات وما تلزم العقوبة فيه وذكر الجور والاسباب الباعثة عليه والاسباب الدالة عليه وأبان شرف العدل وعلو الانتفاع به وخساسة الجور وعظم المضرة به على طريقة الجدل وهذا الفصل المطول بالقياس الى غيره من الفصول نقله عن أفلاطون في كتاب السياسة كما نقل أكثر الفصول السالفة عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ونقل عن الفرس والعرب كما هي عادة من كتبوا في هذا الموضوع من مؤلفي العرب وأبان عن أرسطو ايضاً فضيلة العدل

بصفة حال العادل وهنا ذكر استنتاجات في العدل عن النبي صلى الله عليه واصحابه اوردها في اربع صفحات واستشهد بقصة زاذان الدهقان واعتداء وكيل سعد بن مالك على ارضه وشكواه الى عمر بن الخطاب ونص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر امير المؤمنين الى سعد بن مالك سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد جاءني زاذان وذكر لي قصته فاذا جاءك كتابي وانظرت فيه فقم قائماً حتى نصفه من نفسك والا فاقبل اليّ راجلاً . »

ومن فصوله في كيفية السياسة ، والحيلة في اجترار الناس الى الالفه ، والآفة التي تعرض على السياسة ولا يمكن الاحتراز منها والعلة في امكان خلود الابدان وما روي عن الفلاسفة في صفة الله والحقوق التي يجب على الناس اعتقادها واخذ الناس بالتعبده . ومن الفصول القول في المزاجية وفيه ما ينبغي لكل صنف من الرجال ان يتزوج به من النساء . في الابلاد . في عنفوان الشبيبة ما هو . في كيفية المباحضة . في مدة نشو الانسان . في الفرق بين التأديب وبين السياسة والفرق بين التربية على الادب وبين التأديب . في الادب وفي الحكمة الانسية في اعمال الرعونة ولواحقها . في المتأديب والاديب والغرض من الادب والادب الذي يربي به الصبيان وهم لا يعقلون وهو الادب الذي ينبغي ان يؤخذوا به وهم يعقلون او غيره . في ان الادب هو الحر ومن ليس باديب فانه عيب . في عدم الادب واصناف التربية على الادب والتأديب . والقول في تربية الصبيان على الادب بالنوع الخداع قال فيه : قد قلنا ان ابتداء التربية على الادب انما تكون من الخداعة وذلك بان يصور الجد في صورة الهزل وان يتفق الصدق في صيغة الكذب . قال افلاطون وذلك بان يصاغ لم الغاز يكون حشوها الادب وظاهرها الكذب . قال ومن جنس الالغاز الاشعار التي تمدح الفضيلة والعفة لاجنون واللذة . قال وينبغي ان يؤخذ الامهات والخواصن بان يحرفوهم بها ولا يحرفونهم بغيرها قال وينبغي ان تكون العناية بتسوية انفسهم بالالغاز اشد من العناية بتسوية ابدانهم بالقسط . قال وكذلك نقول بان الابتداء انما هو من الموسيقى الكاذب قال : واما اللعب فينبغي ان يجعل فيما يثمر الجد كاللعب بالكرة والثقافة .

وعقد فصولاً في تربية الصبيان على الادب بالنوع الجدي وفي اكتسابهم الحياء وفي

ان الامور بمبادئها وان المبدأ أعظم شيء يكون في الامر وفي مبداء التأديب وكيف
 يؤدب والقول في اللذات المحمودة وفي اللذات الذميمة وتعود الصبر والحلم وتعود حسن
 الطاعة للرؤساء وللسنن وكل هذه الفصول ايضاً منقولة عن افلاطون في كتاب السياسة . ومن
 فصوله المسكر وشربه وشرب الصبيان والقول في الولاة والقضاة وهل ينبغي لهم ان يشربوا
 وهناك نقل اقوال افلاطون ولم يتعرض لمقاله الدينيون . ومن فصوله ادب النوم وما يجب
 ان يفرض على الاولاد للوالدين وحقوق العايلة والحاضنة وفيما يجب ان يأخذ الملك الناس به
 في الامر الاكابر والسادة في الآداب التي يحتاج اليها المرؤوس اذا صحب الرئيس . وفي هذا
 الفصل ترك النقل عن افلاطون وتشبهت بآين المقفع فنقل عنه ثلاث صفحات وعاد في الفصل
 التالي وهو في صفة من يجب ان يخرج في الحكمة بنقل عن افلاطون وكذلك فعل في فصول
 ادب التعلم وكيف ينبغي ان يعلموا وفي اي سن يجب ان يكون المتعلم وفي العلم الاول الذي
 ينبغي ان يؤخذوا بتعلمه وهو علم العدد والعلم الثاني المساحة ثم المكعبات فالنجوم فالوسيقى
 فعلم الجدل فالمنطق ونقل مقالته افلاطون في الفرق بين صناعة المنطق وسائر الصناعات وقال
 في سياسة النساء وان طبعهن في العلوم والصنائع لا ينقص عن طبع الرجال ولكنه يكون
 اضعف واستشهد بافلاطون في ذلك .

ومن عناوين الابواب في هذا الجزء « هيولى الرأي » « الخوض على الاستشارة
 والتحذير من الاستبداد وفيه بيان الحاجة الى الوزير » وفصول في الاستشارة من الشريعة
 السحرة وصفات السائس والفرق بين الظان والعالم وبيان ان الرئيس اذا لم يكن فاضلاً
 فانه لا ينفع وبضرر مع ذلك المضررة العظيمة من قبل انه يفسد الرعية . وما الى هذا المعنى
 مما نقله عن افلاطون حتى وصل الى القول في كيفية الاسعاد والى العدل العامي وهو
 الذي لا يستغني عنه كل احد . وفصل مطول في الوصايا الجامعة . وجاء في آخرها قال
 ابو الحسن : الحمد لله الذي ألدنا بالحبوب وأمتع به صرعماً فيه وأوحش بالذكور وأمض به
 زاجراً عنه الى ان قال : وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الرابع من كتابنا في
 السعادة والاسعاد في السير الانسانية ونريد ان نبين فيه أقسام الرياسات وعلل الفاسدة
 منها نذكر فيه ايضاً أصناف المدن وصورها وأحوال أهلها وبالله نستعين في كل امورنا
 واياه نستهدي اه .

وبهذا عرفنا ان كتاب السعادة والاسعاد بدخل في اربعة أجزاء وربما زاد على ذلك وبدأ هذا الجزء الرابع باقسام الرياضات اخذ اكثرها عن أفلاطون ثم ذكر السبب المولد للفساد وكيف يحدث الفساد واستوفى القول في صفة المتغلب وذكر بعد أقسام المدن فقسمها الى المدينة الفاضلة والمدينة الخسيسة والحكيمة والجاهلية وتكلم عن صفة المدينة الشقيسة والسعيدة عن أفلاطون وذكر صفة أفلاطون لأخلاق اهل زمانه قال : « وحال ما نعلمه من أخلاق اهل المدن اليوم كحال لوح مملوء كتابة فاسدة فالواجب ان يغسل غسلاً جيداً ثم يملأ كتابة جيدة وان ذلك غير ممكن الا بان نقتلهم وهم أحياء ثم نجعلهم أذكىء بان نعوّدهم العادات التي يرضاها الله » .

وهنا تبين معنا اسم المؤلف (ص ٣٤٩) فقد قال : قال ابو الحسن بن ابي ذر : الحمد لله الذي نظم بحسن التقدير بين المساعي . الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الخامس من كتابنا السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نتبين فيه ما يجب على الرئيس ان يأخذه نفسه في السياسة لرعيته والله نستعين من الزينغ والزبل الخ . وبدأ هذا الجزء باقسام السياسة على وجه آخر سوى الوجوه التي ذكرها من قبل وباي السياسات ينبغي ان يكون الابتداء بسياسة السلم او الحرب قال أفلاطون : الابتداء بسياسة السلم اولى و يشبه ان يكون ذلك كالشيء اللازم وكلام الضروري اذ كان لا سبيل الى دفع شر الاعداء الا باجتماع كلمة الاولياء . قال ولذلك نقول بان الواجب على السائس ان يعترف بتدبيره اولاً الى استصلاح حال اهل المدينة فيما بينهم من الشرور التي نلوك فيهم بالبغضاء والتباين والحسد والنفاق قال وبعد فانه ليس يجوز ان تحصل لهم الخيرات ما لم يقع الامن لبعضهم من بعض . قال والحرب حوبان حرب فيما بين الاولياء بعض من بعض وحرب فيما بينهم وبين اعدائهم وشر الحربين ما تكون بين الاولياء فلذلك نقول بانه يجب ان يكون ابتداء رعاية السائس اكتساب حسن الحال للاولياء اه .

ومن الفصول هنا الآداب التي يحتاج الملك والسائس ان يأخذ بها نفسه وأدب الملوك والرعية نقلها عن فلاسفة اليونان والفرس والعرب استشده فيه بقول معاوية ما بين ان يملك الملك رعيته او تملكه الا الحزم او التواني فقال : هذا من حقه ان يكتب بماء

الذهب . » وتكلم بعد على قوانين كبيرة في الوفاء بالعهد والعقد والحزم وعلى ان العقوبة والامانة ضروريتان في السياسة نقل ذلك عن افلاطون وارسطوطيئس وبحث عما قاله افلاطون بانه ليس ينبغي للاديب ان يخاطب من لا ادب له . وذكر الفصل بين عقوبة الاولياء الخالفين وبين عقوبة الاعداء المناهذين وفي الجنايات التي لا يجوز احتمالها والجنايات التي لا تنطبق السنة احتمالها والتجاوز عن عقوبتها وبين قوام السياسة بالاحسان وان اشرف الآلات الرفق وذكر ما جاء من الترغيب في الرفق والاحسان وتفصيل وجوه الاحسان وذكر الاسباب التي تنولد منها الآفات المفسدة للسياسة المؤدية الى خراب العمران والى فقر الرعية ونقل عن كتاب خدائي نامة وكان نقل عنه كثيراً بعد اقتباس ما يقتبس من فلاسفة يونان . وقال في سياسة دفع مضرة الاعداء عن الاولياء : الواجب على السائس في كل سياسة ان يعمل على ما توجه الحال في الوقت والاحوال الدائرة فيما بين الاولياء والاعداء وان كانت كثيرة فانها تخلص في قسمين احدهما الذي يوجب المدافعة والاخر الذي يوجب المناجزة . ورأس الامر تقديم الروية وملاكة العمل بالحيطة وقوامه في التأني ورفض العجلة وعلى انه لا بد من العدد ومن العدة وتام الامر بكتمان ما تريد ان تعمله حتى لا يقف عليه عدوك وحسن اللطف في استخراج ما يريد ان يعمل من بناؤك .

وذكر فصلاً في الحضر على كتمان الرأي والاسباب التي بها تمكن المدافعة وذكر الاسباب التي بها يطمع في الغلبة عند المناجزة وذكر الرياضات التي بها ينظم امر العسكر ، وعمل صاحب الشرطة او قائد الطليعة ، وامر الطلائع والعيون ، وعمل صاحب السيف ، وعمل صاحب العلاقة ، وعمل والي سوق العسكر واتبع ذلك بوصايا اكثرها مقتبس من افلاطون و اشار الى المدة التي يجب بها رد العسكر الى اوطانهم وهي ثلاث سنين ولا ينقلهم حتى يصل اليهم من يخلفهم وذلك عن افلاطون ايضاً .

وفي (ص ٤١٦) حمد الله وقدم مقدمته على عادته الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم السادس من كتابنا الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نذكر فيه السبيل الى تزكية النفس وحياتها من مبداء مفتتحها الى تمام غايتها . وبدأ ذلك عن الينوس فيما يجب ان يأخذ به الملك نفسه ورعيته في معرفة الله . ثم نقل

من كتاب الكون بتفسير الاسكندر نقله عن ارسطو ومن فصوله الحض نلى اقتناء من
يستشار وفي التحذير من الهوى ومن مزبد الهوى ووجه العمل والرأي في الوزير اذا
اخطأ وفي كيف يستشير فقال : في التاج (ونقل عنه غير مرة ولعله تاج الجاحظ)
ولا ينبغي للملك ان يستشير احداً الا خالياً به فانه اموت للسمر واجمع للذهن واحزم
للرأي وقال ارسطوطوليس للاسكندر صير استشارتك بالليل فان الفكر فيه أحلى
وأجمع وقال ابن المقفع اذا اجتمع امران فقدم الأهم واذا ورد امر وانت في آخر فدعه
ولا تقطع الاول حتى تستمه الا ان تخاف دخول ضرر بالتأخير في الامر الثاني وقال
ابن المقفع ويجب ان تحذر المشاجرة في الوقت الضيق وقال ابن المقفع اذا طلب منك
رأي فانظر الرجل المستشير فاذا عرفت اشترك بما يصلح له وفي خدائي نامه ينبغي ان
تعود نفسك الصبر على خلاف ذي الرأي والنصيحة اه .

ووضع فصولاً في كيف ينبغي ان يعامل الملك وزراءه . وفي الاستشارة على معني
التألف وفي الابتداء بالمشورة وفي ان الوزير والمستشار يجب ان يكون اكثر من واحد
وفي الاسباب التي ينبغي ان يرأى فيها ويستشار نقلاً عن اليونانيين والفارسيين
وعنون فصول في انه لا بد للملك من الأعوان وفي الحض على اختيار العمال وصفاتهم
وانفقدهم وأحوالهم وفي الادب والآفة المؤدية الى سوءه وهذا آخر ما بقي من اوراق
هذا السفر ولعله اكثر من ستة اجزاء كما علمنا ذلك بنص المؤلف .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

شخصية النبي محمد

The Personality of Muhammad the prophet .

رسالة لطيفة تشتمل على خطبة خطبها بالانكليزية الاستاذ (أ . يوسف علي الهندي)

بعيد الاضحى في لندن .

عرض الخطيب الى سيرة النبي عليه السلام منذ مولده الى وفاته على سبيل الاجمال .
وأشار الى الظواهر الخطيرة والحوادث الهامة التي تتعلق بشخصيته ونمى على ما انصف به
ودعا اليه من مكارم الأخلاق ، وما شرعه من معالي الامور في شؤون الدين والدنيا .
وكيف كان يرمي من وراء دعوته الى المواخاة بين البشر ليقودهم الى السعادة في الدنيا
والآخرة . فحبذا لو أقبل المسلمون على دراسة حياة نبيهم وما فيها من الجلائل والعظام
والعبر والعظات فحياته حياة لهم

عضو المجمع العلمي
خليل مردم بك

مصطفى سوري و فلسطين

« في القرن الثامن عشر »

تأليف شارل روالوزير المفوض . وهو بالفرنسية يقع في ٢١٧ صفحة

من القطع الكبير ويحتوي على ٢٧ صورة قديمة

كان الفرنسيون وبعض الامم الاوربية يتجرون مع الشام في القرن الثامن عشر وما
قبله على شكل خاص فنقيم جالياتهم في فرض معينة كبيروت وصيدا وطرابلس وعكا ويافا
ويتمتعون بامتيازات رضي فيها السلاطين العثمانيون ان يتنازلوا عن حقوق الدولة حياً
بضمانة الاتجار بين الشرق والغرب وهي تلك الامتيازات التي كانت في ذاك الحين
محمودة المغبة فصارت في ايامنا هذه شؤماً على اهل البلاد وضرراً كبيراً . وكان تجار كل
دولة اوربية من الدول الكبرى يعيشون مع قنصلهم عيشة خاصة في خانات معلومة

لا يخرجون منها ليلاً . ولهم قوانين سنتها لم دولهم لتناول كثيرآ من الشؤون حتى شؤ ونهم الخاصة كمنعهم عن الزواج ومنع نساءهم وبناتهم من اللحاق بهم وإطلاق يد القنصل في طردهم وأعادتهم الى بلادهم اذا انوا اعمالاً سيئة الخ . ولم يكن يسمح لغيرهم من أبناء جلدتهم ان يتجروا مع الشرفيين . وبعض الدول كانت بتحدد الاصناف والمقادير التي يمكنهم ان يتجروا بها حتى كأنهم موظفون لديها . وكانت الغرفة التجارية في مرسيلية تسيطر على كل التجار الفرنسيين في المرافئ الشامية .

ولقد اجاد المؤلف في وصف علاقات التجار الاجانب بالاهلين وبالحكام وتأثير هؤلاء (كالشيخ ظاهر العمر والامير يوسف الشهابي والجزار وابي الذهب) في تجارة البلاد وزراعتها . ودعم آراءه بوثائق مهمة استخرجها من وزارة الخارجية الفرنسية والغرفة الزراعية في مرسيلية وحلى الكتاب بصور كثير من رجال ذاك العصر صورت في ذاك الزمن فهذا الكتاب هو اذن من الكتب المفيدة جداً يلزم لكل من بدرس تاريخ الشام في القرن السابع عشر لاسيما من وجهته الاقتصادية .

مصطفى الشهابي
عضو الجمع العلمي

ذيل وذيل الذيل « لكتاب الصكوك الحقوقية »

تأليف شيخ المدققين الاستاذ محمد مصباح محرم وقد وصفنا هذا الكتاب المتمتع في عدد سابق من المجلة . وهذا الذيل لئمة قيمة يحتاج اليها ايضاً رجال القانون والشرع من قضاة ومحامين .

عارف النكدي